٢١٤
١٠٥٩
٥١٣٧٤

محمود مهدي استانبولي

هذا ... او الجنون

« كتابنا رد على كتاب : (هذا .. أو الطوفان) وبعض الكتب الأخرى للكاتب
خالد محمد خالد الذي زعم وأعلن عن نفسه أنه من العلماء ! »

« سُئل فيلسوف : ماسعادتك ؟
قال : في حجة تتبختر اتضاحاً ،
وشبهة تتضاءل افتضاحاً »

مطبوعات التمدن الاسلامي بدمشق

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥

مطبعة الترقي بدمشق

233925
٩-٠٩ ٤٤
ن

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أجد مطلعاً أستهل به ردي على المأفون خالد محمد خالد كوصف له ،أجمل من عبارة وردت في كتابه المذكور على لسان طبيب للأمراض العقلية قال الكاتب تعقيباً على سؤال له :

« . . . إننا نظن أن المجانين هم أولئك الذين استضافهم مستشفى الأمراض العقلية ، ولكن لا ! فالجنون فنون ، والقلق العصبي ، والانحصار النفسي ، وكل اضطراب في الحياة بداية تعسة لجنون أكيد . . . (ص ١٣٩) » .

وإلا فما رأي القارىء بكاتب يعلن عن نفسه ويضع تحت اسمه جملة « من العلماء » ثم يفرض على القراء صورته في الصفحة الأولى من جلد الكتاب وكأنه نسي أو تناسى على الأصح الحكمة العربية القائلة : « لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه علم فقد جهل . »

وقد جاء أغلب ما في الكتاب مصداقاً لهذه الحكمة في التعبير عن جهل المشعوذ خالد محمد خالد جهلاً مريعاً لا نتصور أن يصدر عن خدم الأزهر بل المتخرجين منه .

بمثل هذا التدجيل يخدع المؤلف السخيف المغفلين من الشباب، فيطالعون كتبه فيظن نفسه منطاداً أمام هؤلاء البسطاء ، وهو أمام العلماء لا يزيد على كونه ذبابة ! بل لو بصق أبسط عالم لغرق المؤلف في بصقته . وسيرى القارىء من نقدنا لهذا الكاتب المغرور أنه ليس من أنصاف العلماء ولا أرباع العلماء ، إنما هو بينهم كالحمار يلبس جلد أسد !

قال الكاتب المذكور بسخافة وهذيان في معرض كلامه على مسؤولية المجتمع وتطور الأخلاق :

« وكان على رأس فضائل الناس كما ألفنا قبلاً أن تقدم لأضيافك ـ زوجتك أو ابنتك ـ يا له من أسلوب سمج وقذر يخاطب به خالد القارىء البريء ! ـ ولعل هذا يفسر قول نبي الله لوط عليه السلام لقومه حين هاجموا داره ليفتكوا بضيوفه فتكاً جنسياً : « هؤلاء بناتي هن أطهر لكم إن كنتم فاعلين » . (ص ١٠١)

لا أدري في أي تفسير الحشاشين قد درس هذا الأثيم القذر ، مع أنه ادعى ـ كاذباً ـ أن من مصادره التفسير القيم السلفي تفسير ابن كثير !

لقد جهل خالد محمد خالد نظرية « ثبوت الأخلاق » لا تطورها التي جاءت بها الأديان من لدن نوح ولوط وابراهيم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً ، والتي يدعو إليها الفلاسفة المفكرون اليوم . فإنه مما لا يتصوره العقل أن تكون رذائل السرقة والكذب والاحتيال فضائل يوماً ما في مجتمع مريض سائر نحو الانقراض والانحلال . وإذا كان هناك تغير في بعض السلوك أحياناً ، فإن ذلك يمس بعض العادات فقط كصراع الثيران فإنه فضيلة في اسبانيا ورذيلة في فرانسا .

ولو كان لنظرية التطور مكان في الشرائع السماوية لوجدنا عديداً من الآيات حين عرض قصص الأنبياء في القرآن الكريم تحض على السرقة والكذب والاحتيال والقرصنة كما كانت الحال عند كثير من القبائل والأمم البدائية . ولما كان القرآن الكريم اكتفى بهذا المثال الذي ذكره عالمنا الجاهل مما يتنافى مع الذوق والشرف والعقل بل مع روح الدين الذي جاء به جميع الأنبياء .

ولعل هذا التفسير هداه إليه الكتاب المقدس ـ وهو من مصادره أيضاً ـ وقد جاء في هذا الكتاب ونستغفر الله مما جاء فيه : « جاء في الاصحاح التاسع عشر : ٢٠ من التوراة وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه . لأنه خاف أن يسكن في صوغر . فسكن في المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر الصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً ، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها . ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها!! وحدث في الغد أن البكر قالت الصغيرة : إني قد اضطجعت البارحة مع أبي فاسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه ، ولم يعلم باضطجاعها

ولا بقيامها ، فعبلت ابنتا لوط من أبيها فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب والصغيرة أيضاً ولدت ابناً . . . »

وهذه الزلة وحدها كافية لسقوط هذا الدجال من « العلماء » والخروج من الاسلام ، ومع هذا فإنها ليست وحدها . بل هناك مئات مثلها ! والغريب أنه يفرض علينا آراءه فرضاً ويهددنا بالطوفان إذا لم نقبل بها ! !

ولا عجب بعد ذلك إذا أطلقنا على كتابنا اسم « هذا . . . أو الجنون » قاصدين بذلك أن من يحاول أن ينتقص من عظمة الدين الاسلامي وأن ينكر حقائقه الخالدة هو مجنون حقاً بعد ما ثبت حتى للأجانب عظمته وقدرته في حلّ مشكلات العصور الحديثة ، وبعدما جُرِّب في العصور القديمة فكان سبباً في انقاذ العرب مما كانوا عليه من ذل واضطهاد وهمجية ، وجعل من معتنقيه خير أمة أخرجت للناس مدنت العالم ونشرت على الأرض رايات المحبة والخير والحق والسلام !

يتألف الكتاب من (٢٠٠) صفحة أو يزيد وهو يحتوي على بضع فكرات أعادها وكررها إلى درجة السأم والملل . لنأخذ مثالاً على ذلك فكرة تأثير الجسم على النفس ، وأثر الغدد في السلوك فقد ذكرها في صفحة ١٣ وما بعدها تحت عنوان من المحراب ... إلى غرفة التشريح ، وتحت عنوان هذا هو الانسان (ص ٢٩ ومابعدها) وكذلك تحت عنوان أنت مريض لا آثم (ص ٦١ وما بعدها) وتحت عنوان الصحة والحرية والعلم (ص ١٦٢ ومابعدها) .

هذه هي غالبية مباحث الكتاب :

لا فضيلة بغير معرفة لسقراط (١١)

إنما نقترف الشر مكرهين (١١)

ليس هناك شياطين (٢٣)

نقد فكرة القضاء والقدر (٤٠)

التحريم معطل الارادة وصانع الاغراء (٨١)

غرائزنا تعرف الطريق .

مسؤولية المجتمع .

مشكلة الجنس .

الدين بلا أكاذيب .

الاختلاط فلسفة ومنهاج الخ .

ونبدأ الآن بمناقشة ماجاء في هذه المباحث كلاً على حدة .

١ — لا فضيلة بغير معرفة :

لقد أطنب الكاتب في شرح هذه الفكرة ، وأول من نادى بها الفيلسوف سقراط ، فهو يقول ان الانسان إذا تعلم ابتعد عن الرذيلة ، وإن المجرمين والسفهاء هم جماعة من الذين حرموا المعرفة . . . وقال في ص ١٨ : « إن الخلق شبيه الذكاء ـ الكلمة الأولى في تشخيص علته واختيار وسائل تجويده وتصعيده العلم » .

وهذا الرأي صحيح بصورة مبدئية ، ولكن لا يمكن أن نأخذ به على الدوام حيث يكذبه واقع كثير من الفضلاء وهم جهلاء ، بينما يوجد علماء دون أخلاق وهكذا نرى عدم العلاقة بين العلم والخُلق .

إن العلم سلاح ، فيمكن أن يكون للخير كما يمكن أن يكون للشر ، وقد نادى بهذه الفكرة الفيلسوف سبنسر .

من يستطيع أن يقول ان الغربيين الذين يسفكون دماء البشر بالجملة لغايات استعمارية ، وقد هدموا مدناً بأسرها على سكانها إنهم جهلاء ؟ ! وقد ملؤوا البر والبحر والجو بعلومهم ومخترعاتهم . وقد جاء الاسلام مصداقاً لهذه النظرية ـ كما نعلم ـ فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالاتفعلون . » وقد وصف القرآن العلماء بالخشية والاحترام ، فاذا لم يخشوا ويحترموا الله فليسوا بعلماء ، بل شياطين ، قال تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء . » وقال رسول الله عليه السلام : (أول ما تسعر بهم النار ثلاثة عالم ومجاهد وغني ، فيؤتى بالعالم فيقال له : ماذا فعلت بما علمتك ؟ فيقول : نشرته بين الناس في سبيلك ، فيقال له : كذبت ، إنما فعلت ليقول الناس فلان عالم ، وقد قيل : خذوا به إلى النار . . . الخ الحديث) ـ رواه مسلم والترمذي وغيرهما ـ

٢ ـ نحن نقترف الشر مكرهين : فينبغي الانتقال من المحراب ... إلى غرفة التشريح

يورد المؤلف في مطلع بحثه هذا عدة عبارات من الانجيل ، ويستشهد بأحاديث ليس لها أصل كحديث : « تخلقوا بأخلاق الله » .

ثم يتناول هذا الحديث كأنه حديث صحيح بالنقد اللاذع .

وعلى افتراض صحته فليس هناك ما يمنع المرء من أن يصبو دائماً إلى التكامل ويعمل جاهداً في تحسين سلوكه والدنو بأخلاقه من الله المتصف بصفات الكمال وذلك عن طريق الاعلاء والتسامي بالغرائز بما أقره علم النفس الحديث ودعا إليه ، وأيدته الفلسفة الحديثة الرامية إلى إيجاد (السوبرمان) الانسان الكامل . مع العلم أن الأمر هنا لا يفيد الوجوب المحتم وإنما هو ندب وحث على الارتفاع بمكانة النفس . ولا يقتضي محاولة دنونا في أخلاقنا من صفات الله العظيمة بماثلتنا له كما أراد أن يفهم هذا الجاهل الشاذ . فيقول : (ص ١٥) :

« وموعظة الرسول : تخلقوا بأخلاق الله . . . كيف السبيل إليها ؟ ثم يجيب :

« إن ثمة استحالة مادية تعترض طريقنا . فنحن البشر لنا أمعاء يحتشد فيها المكروب احتشاداً يدفع النفس مكرهة إلى سلوك لا ترضاه ولا تريده . . .

ولكل إنسان كبد وغدد إذا أصاب إحداها الخلل صرت العدوى في غير إبطاء إلى سلوكه فجعلته غضوباً ، أو مدمناً أو عربيداً .

ثم يقول : مشيراً بنقد الحديث (١) :

(١) إن هذا الحديث لعب دوراً عظيماً في كتاب هذا المفتري على العلم والدين خالد محمد خالد وقد بنى عليه القصور والعلالي في النقد والتجريح في عدة مواضع من الكتاب ، وهو مع ذلك لا أصل له في شيء من كتب السنة ، فكان مثله مثل من يبني على الماء والرمل . فكان مما قاله في ص ١٤ : « . . . ولكن الرؤى الهائلة التي تسيطر على الدين تجعله يحصر اهتمامه في الله (كذا) ومن ثم فهو يهيب بالناس أن يصيروا آلهة . . . أن يتخلقوا بأخلاق الله . . .

إن الحمار قبل أن يأكل طعاماً أو يذوق ماء يشمه ويختبره فهلا حذا هذا المؤلف حذو الحمار على الأقل ، فسأل عن درجة حديث « تخلقوا بأخلاق الله » قبل أن يتناول الاسلام بالنقد والتجريح ؟ !

« فكيف أرنو إلى مستوى إله لا كبد له ولا أمعاء . . . ؟ !

— يا لخسارة الأزهر بهذا الغلام الغر الجاهل .

ومن غريب الصدف أننا اطلعنا على كتاب الصعلوك خالد محمد خالد « الدين في خدمة الشعب » فوجدناه يدافع عن هذا القول الذي ظنه ـ لجهله ـ حديثاً فقال (ص ١٢) :

« من أجل ذلك جئنا نعلن في يقين وصدق أن حقوق الانسان من حقوق الله .

ومن أجل ذلك أيضاً دعا الله البشر ليترفعوا ، فقال : « كونوا ربانيين » .

ودعا الرسول عليه السلام دعوة مماثلة فقال : « تخلقوا بأخلاق الله . إن ربي على صراط مستقيم . »

فهل يستغرب القارئ إذا قلنا عن هذا الرجل أو شبه الرجل ان فيه مساً من الجنون ؟ !

وقال هذا المجذوب في الصفحة نفسها :

« . . . ولقد اختاره (أي اختار الله الانسان) أيضاً ليكون خليفة في الأرض ، ومنفذاً لمشيئته عليها ، وأعلن ذلك في كتابه الكريم حين قال سبحانه : « إني جاعل في الأرض خليفة . . . »

إن تفسير المؤلف الخليفة هنا بخليفة الله خطأ كبير ، ولو قال به بعض المفسرين ، إنما هو خليفة المخلوقات التي كانت قبل آدم حيث اضمحلت وخلق مكانها البشر . والسبب في انكارنا هذا التفسير مايلي :

١ — إن الانسان مهما أوتي من السمو والرفعة لا يستطيع أن يمثل هذه الخلافة .

٢ — إن الانسان معرض للخطأ ، وقابل للضلال ، فاذا أخطأ وضل فبأيهم من يكون قد فعل ذلك إذا اعتبرناه خليفة الله ؟ !

٣ — سياق الآية ينافي هذا التفسير ، فان الملائكة لو فهموا أنه خليفة الله لما تجرؤوا ولا توهموا أن خليفة الله سيفسد في الأرض ويسفك الدماء . وقد جاء في الآية : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : إني أعلم مالاتعلمون ! » فقول القرآن على لسان الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » يدل على خلافة من كانوا —

حقاً إن الطب الحديث جاء بنظريات في تأثير الغدد على سلوك المرء ، ولكن هذه النظريات لا تزال إلى حد بعيد في عالم الخيال .

فلو صحت هذه النظرية التي ينتصر لها أحقنا الأبطلت الاصلاحيات وألغيت المعاهد التوجيهية مادام بالإمكان تناول كميات من خلاصة الغدة النخامية لاصلاح المجرمين والأشقياء .

— قبل آدم الذين افسدوا في الأرض ، فخشيت الملائكة أن يكون الخليفة آدم ومن بعده من البشر مثل من سبقهم فساداً وسفكاً للدماء .

٤ — ويشير إلى ما ذكرنا قوله عليه الصلاة والسلام في أثناء حديث : (وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله . . .) ومما يثبت جهل المؤلف عنوان كتابه الذي أعطاه سفهاً وحمقاً اسم « الدين في خدمة الشعوب » فان مثل هذا الكلام لا يصدر من رجل يفهم أن الدين مصدره الأسامي كلام الله تعالى الذي هو صفة من صفاته عز وجل ، فكيف يليق بمسلم أن ينطق بكلمة تفهم أن الله تعالى أوصفه من صفاته في خدمة الشعب .

وقال المؤلف ص ١٠ : في الكتاب المذكور : « أنت وحدك ظل الله في الأرض ، أنت خليفته ، أنت نفحة من روحه ، أنت شهبة من نوره » .

أما قوله : « أنت وحدك ظل الله في الأرض » فيشم منه رائحة القول بحلول الله تعالى في بعض مخلوقاته الذي يقول به بعض وغلاة المتصوفة ، وحديث (السلطان ظل الله في الأرض) حديث ضعيف . وأما قوله « أنت نفحة من روحه » فخطأ واضح لم يرد فيه كتاب ولا سنة ، وإنما جاء في سيدنا آدم ثم عيسى عليهما السلام على أنه ليس المراد من الروح هنا أنه جزء من صفة الله تعالى قائم به انفصل عنه وحل في آدم وعيسى كما يعتقده النصارى في المسيح ، إنما هو نفخ بواسطة الروح جبريل عليه السلام كما يشير إلى ذلك قوله تعالى في قصة مريم : « فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا . » .

وكذلك قوله « أنت شهبة من نوره » .

فهل رأيت أيها القارئ مبلغ جهل المؤلف وسطحيته وجنونه ؟ !

ولو كانت هذه النظرية صحيحة لما وجدنا في الغرب في الوقت الحاضر محاكم وسجون لا تزال آخذة في الازدياد .

والغريب أن هذا المغفل ينتصر لهذه النظرية ، وينتقد عقيدة القضاء والقدر بحجة أنها على زعمه الخاطئ تدعو إلى الجبرية والاستسلام مما نتبين خطأه فيما يأتي ، مع أن ما يدعيه من أن الجرائم والغدد التأثير المطلق يجعل الانسان أكثر اتكالية ويجرده من التبعة مما يدفعه دفعاً إلى ارتكاب الجرائم والموبقات .

جاء في مجلة الاثنين نكتة فكاهية جعل منها الكاتب نبراساً وقانوناً :

« اعتقل بمدينة (فينا) لص في الثالثة والستين من عمره ، فاعترف بجريمته وقال مستعطفاً : ظللت طوال حياتي أميناً ولكني منذ مدة قصيرة أصبت بحادث ، فأجريت لي عملية نقل الدم ، ويبدو أن الدم الذي نقل إليّ كان دم لص عريق ، فإنني من يومها لا أقوى على مغالبة شهوة السرقة ! » .

لا شك ان المحكمة قد استغرقت في الضحك من هذا القول وحكمت على صاحبه بما يستحقه من عقاب !

ما رأي كاتبنا بهذه النكتة الفكاهية ؟ وماذا يفعل لو كان قاضياً — لا سمح الله — في هذه المحكمة ؟ !

لو صحت هذه النظرية لقام كل مجرم وادعى أنه تناول بالأمس فرخ دجاج موبوء دفعه دفعاً إلى ارتكاب الجريمة ! !

في الغرب اليوم تياران أحدهما فردي رأسمالي يجعل الفرد هو الكل في الكل ، ومصلحته قبل كل مصلحة ، ويبالغ في المحافظة عليه ويعامله معاملة فاحمة جداً حتى في حال إجرامه ! مستنداً في ذلك إلى بعض نظريات علم النفس التحليلي المبتدئة القائلة بأن المجرم مخلوق سلبي هو نتاج البيئة والظروف التي نشأ فيها .

وبعكس هذا التيار تيار الأمم الاشتراكية التي تجعل الفرد قطعة من آلة وتشتد عليه في العقوبة ، فيما إذا خرج على إرادة الدولة التي تمثل — بنظرها — المجتمع .

والاسلام بحكمته وبعد نظره وقف من هذين التيارين موقف المعتدل ، فهو يسعى لرفاهية الفرد وتأمين الضمان الاجتماعي له ، ويبدأ بتوجيهه وتهذيبه ويعتبره مسؤولاً بعد

ذلك عن عمله ويوقع فيه أشد العقوبة الرادعة فيما إذا ثبت عليه بأسلوب لا تتطرق إليه شبهة أنه مكدّر أمن المجتمع واعتدى على سلامة غيره .

لنأخذ مثالاً على ذلك السارق . فالاسلام يقرر قطع يده [1] بعد تأمين الضروريات اللازمة له من قبل الدولة ، ولا يقدم على هذه العقوبة القاسية في حالة الأزمات التي تعرض الأفراد للجوع والفاقة وفي حالة احتكار الأغنياء طعامهم على خدمهم .

والغريب أن الصعلوك خالد محمد خالد في الوقت الذي يدعي بتأثير الحوادث الفيزيولوجية على النفس ينكر صحة الحديث الصحيح القائل ما ملخصه : (ان الرسول وهو غلام ، هبط عليه ملائكة من السماء . . . ومعهم طست وإناء . شقوا صدر الرسول وانتزعوا منه بضعة سوداء هي مسكن الشيطان . . .) ـ رواه مسلم في صحيحه ـ

مع أن هذه العملية يمكن أن يتصورها مؤلف آخر زمان حادثة فيزيولوجية وهي ما قال هو نفسه بتأثيرها وأثرها في صلاح النفس كما ذكرنا .

ومما قاله خالد محمد خالد تحت عنوان (من المحراب إلى غرفة التشريح) ص ٢٣ :

« أعرف شاباً اضطربت حياته الانفعالية الجنسية اضطراباً وجه سلوكه وجهة منحرفة شاذة . . . وكان من حسن حظه أن استمع إلى نصيحة ألقيت إليه بأن يتعلم فن الرقص ويمارسه كهواية دائمة . وجاءت النتيجة بما لم يكن منتظراً من الفضيلة والاستقامة والتسامي . . . فلو أن النصيحة ألقيت إلى شاب كانت عبارة عن موجز لإحدى الخطب المنبرية . . . إذن لكان هذا النفس قد سجل رقماً قياسياً للاستجابة لنوازع علته وعقدته » .

وهكذا نرى المؤلف بعد أن دعانا للانتقال من المحراب إلى غرفة التشريح ، يعود فيدعونا إلى المرقص [2] لعلاج مشكلاتنا الجنسية معرضاً بالنقد إلى المحراب والمنبر .

(١) عقوبة قطع اليد عقوبة رادعة تصون المجتمع وتزجر من تحوله نفسه السرقة ، عن الاقدام على مثل هذه الجريمة ، وفي تاريخ الحكم الاسلامي الطويل لم يضطر الحاكم الاسلامي إلى تنفيذها إلا في حالات قليلة جداً .

(٢) كتبت مجلة صوت الشرق في العدد ٢٧ السنة الثانية استفتاء القائمقام أركان الحرب عبد الفتاح ابراهيم موضوعه : فتاة الحائط في ثكنات الجيش ، وهل من الأفضل ـ

أعود فأذكر القارئ بما قلته في وصف المؤلف في أول هذا النقد ثم أقول :

ـ أن نترك الجندي يضع الصورة التي يختارها أم نمنعه من وضعها ؟ وقد أجاب عن هذا الاستفتاء بعض المفكرين نذكر فيما يلي رأي البكباشي محمود أمين عمر أركان حرب الكلية الحربية ، ورأي الأستاذ حسين رشدي الداودي مدرس علم النفس بالكلية الحربية أيضاً .

قال البكباشي : « أعجبني أن يكون بحث هذا الموضوع في وقت يبنى فيه الجيش على أسس جديدة ونظم مستحدثة . . . والجيوش دائماً تكون صورة صادقة لشعوبها ، فالشعب المندي الذي نال حريته بعد نضال دام أجيالا متعاقبة والذي يبذل النفس والنفيس في سبيل محو الآثار التي ترتبت على الاحتلال البغيض لأراضيه ، هو وجيش بلاده صنوان يستهدفان عزة الأمة وكرامة الفرد . فلا عجب إذن أن أصدر الجيش المندي أمراً عاماً لوحداته بمنع تعليق صور الفتيات الجميلات من نجوم المسرح والسينما في حجرات نوم الجنود ومنع تعليقها كلية في الثكنات العسكرية إذ أن الأمر واضح جلي والسبب كما يبدو لي منطقي .

والجندي داخل الثكنة يكون متفرغاً لعمل يختلف كل الاختلاف عما هو خارجها !! وفي أعمال الجنود عامة مشقة وحرمان وهما صفتان تتميز بهما الحرب . والحرب هي صناعة والمشقات التي يتدرب على تحملها المحاربون في وقت السلم داخل الثكنات وفي المناورات هي صورة صادقة لما سيصادفونه من صنوفها في وقت الحرب ويدخل ضمن هذا النطاق المشقة الجسمانية والمشقة النفسية .

والحرمان الذي تأخذ به الجنود في أوقات كثيرة معينة يكون دائماً من ذلك النوع الذي تصادفه الدول في السنوات التي تسبق الحرب ، وهي ما نسميها بمجهدات الاستعداد ، ويكون ذلك الحرمان كذلك من النوع الآخر الذي تصادفه الجيوش عندما يحتدم وطيس القتال وهو ما نسميه بأهوال المعركة . ولا يتبادر إلى ذهن القارئ أن التعذيب في عرف الجيوش يعتبر وسيلة مشروعة للتدريب إذ أن الخطأ فيما ذكرته يحتمل الوقع ، ولذلك فاني سأوضح بقدر ما أستطيع في السطور التالية أن حياة الجنود ليست كلها داخل الثكنات وأن هناك ما نسميه وقت الفراغ وهو وقت يعتبر حراً للجنود وأن مبدأ الترفيه مأخوذ به في جميع الجيوش الحديثة .

إن الاسلام لم يعالج المشكلات الجنسية بالوعظ والارشاد فقط كما يتبادر إلى الذهن من وسائس المؤلف ، إنما هو دعا إلى حلول نفسية (سيكولوجية) واجتماعية وجسمية (فيزيولوجية) بغاية الروعة .

— ولكن هل يمكننا مهما أوتينا من حكمة ودراية وتجربة أن ندرب الجندي على أن يحيا حياتين إحداهما خشنة وفيها تقشف كثير ، وثانيتهما مترفة بها لهو كثير . وهل سنتمكن عن طريق التدريب أن نجعل الجندي شخصيتين : إحداهما زاهدة والأخرى مترفة ؟ وهل يمكن أن نسلم بالمنطق القائل بأنه لا ضرر يقع إذا ما وقع بصر الجندي على صورة جميلة ، وهو متعب ؟ وان النفس البشرية ترتاح دائماً إلى الصور الجميلة : ان هذا المنطق لا يستقيم إطلاقاً مع مانريده نحن من الجندي الخشن المتقشف لأنني أقول : إن من يسمح بتعليق الصورة الجميلة ذات الوضع المغري داخل ثكنة الجندي إنما يصرفه عن عمل دائم وحركة مستمرة وجهد متواصل إلى تفكير أكثره حنين إلى الجنس ، وإلى اللهو ، ويصرفه كذلك بفكره ، إلى حيث يلقى الغيد الحسان ، وليس إلى العمل المطلوب انجازه داخل الثكنات .

أما الترفيه بمعناه السليم ، فهو أن نملأ على الجندي وقت فراغه داخل الثكنات بما يتمشى ونوع التدريب والتهذيب الذي نهدف إليه ، وخارج الثكنات بما يتمشى مع ما يليق بشاب قوي ذي نفس عالية يهدف إلى المثل العليا . »

وقال حسين رشدي الداودي :

« أليس من الخطأ أن نثير عند هذا الجندي غريزة ثم نحرم عليه اشباعها بأي وسيلة من الوسائل أو نتركه يندفع تحت تأثير قوتها إلى اشباعها بأساليب شاذة ملتوية ، مما يسبب له صراعاً نفسياً في كلتا الحالين يقلل من كفاءته ويضعف روحه المعنوية ؟

أليس من الأصوب أن نبعد عن هذا الجندي كل مثيرات الغريزة التي منها صور الفتيات الجميلات أو العاريات ؟

ان من المبادىء المقررة في علم النفس أن الغريزة هي مجرد استعداد فطري ، وهذا الاستعداد لاينشط أو يدفع الانسان إلى أي نوع من أنواع السلوك إلا إذا استثير ، فاذا —

فالاسلام فيما طلبه لعصمة الرجل والمرأة لزوم ترك النظرات والتأملات المريبة ، واجتناب خلوة بين الجنسين ، وحث على الصيام في حالة العجز عن نفقات الزواج لتسامي الغريزة الجنسية وصرف طاقتها إلى نواح أخرى .

ولم يكتف الاسلام بكل هذا بل دعا إلى لباس الحشمة ، فان التبرج والعري يثير هذه الغريزة ويسبب العقد النفسية .

وفي الوقت نفسه دعا الاسلام الدولة للإسراع بزواج الفقير من بيت المال ، وأعطى للمدين المضطر في حال الزواج وغيره من الحالات الضرورية حق مطالبة الدولة على وفاء دينه .

فأين هذه الحلول من حل المؤلف من دعوة الشباب إلى تعلم الرقص واتخاذه هواية دائمة ، ومعنى ذلك لزوم سكنى المراقص . والرقص مع الجنس — أول خطوات الزنا — على الغالب — ومن أعظم دواعي إثارة الغريزة الجنسية .

ولو صح ما يقوله المؤلف الدجال لكان مرتادو هذه المراقص من أعظم الناس تقوى وفضيلة !! مع أننا نراهم — على الأكثر — كالقردة والخنازير يعتدون على أعراض بعضهم بعضاً ، ويتخذون الرقص وسيلة للتمهيد وأخذ الوعود . وكم من الأسر السورية افتضحت وشرد أبناؤها من جراء هذه السهرات العائلية التي أخذت ويلاتها تسري في كثير من البيوتات الغنية التي فقدت المروءة والشرف حتى الصحة أيضاً .

— لم يستثر برؤية أشياء معنية أو التفكير في أشياء معينة أو سماع أشياء معينة ، يستمر الاستعداد كامناً أو مكنوناً ، ولهذا فإني أرى إذا حرمنا لصق صور الفتيات على جدران الثكنات ومنعنا الجنود من رواية مغامراتهم النسائية على زملائهم وشغلنا تفكيرهم بالعمل في أوقات العمل الرسمي وبوسائل التسلية البريئة والألعاب الرياضية في أوقات الفراغ ، نكون قد أبعدنا كل مثيرات الغريزة الجنسية ، وبذلك تظل كامنة ويقل خطرها ، وبذلك نتجنب ماتسببه من صراع نفسي عند الجنود يقلل من كفاءتهم ويضعف من روحهم المعنوية . »

هذا رأي العلماء المفكرين التقدميين في أثر الصورة التي تعلق على الحائط ، فما بالهم إذا قلنا باقتراح لزوم الرقص مع الجنس وفائدته في سرعة الإصلاح كما قال الخليع الأباحي خالد محمد خالد ؟!

وبمناسبة الكلام على الرقص ، فقد اطلعنا على مقال للمؤلف في مجلة الجيل (ع ١٧٧ ٩٥٥) يحبذ فيه هذا النوع من الخلاعة مستشهداً برقص الحبشة في المسجد في عهد الرسول عليه السلام . مع أن هذا الرقص كان من نوع الدبكة ، ومن قبل الرجال فقط ، فلم يكن مثل هذا الرقص الداعر الحاوي على العناق والفناج والمؤدي إلى الفاحشة ، فهل رأى القارىء مثل هذه المواربة والحتل في استثمار النصوص الدينية للوصول إلى إباحية المؤلف ، ناسياً أو متناسياً أن الرسول عليه السلام نهى الصديق أن يقبل صديقه أو يعانقه ، فكيف بهذا الرقص الخليع المعروف الذي صور المؤلف نفسه فيه وهو يخاصر امرأة مستهترة !

ولم يكتف خالد محمد خالد بهذا ، بل راح يدلل على فوائد الرقص ـ مستشهداً بقصة عالم ملحد أعاد الرقص الايمان إلى قلبه ، مع أننا رأينا في غير هذا المكان آراء كبار أساتذة علم النفس في وجوب منع تعليق صور المرأة . فكيف بنا لو استفتيناهم بالرقص بين الجنسين (١) ؟ !

(١) وكان مما ذكر خالد محمد خالد في المجلة المذكورة أن الاسلام احترم حرية الشك في الله ، ويبغي هذا الحديث دعوة الناس إلى الالحاد بعد أن دعاهم إلى الأباحية .

والغريب أن هذا المؤلف يؤيد رأيه بحديث شريف في إباحة هذا الشك نقله باضطراب وتحريف ، وحباً بالحقيقة رأينا من الضروري ذكر هذه القضية بأحاديث صحيحة رواها مسلم .

عن أبي هريرة قال : جاءنا رجل من أصحاب النبي فسألوه : إنا نجد في أنفسنا مايتعاظم أحدنا أن يتكلم به . قال : وقد وجدتموه ؟ ! قالوا : نعم . قال : ذاك صريح الايمان .

وعن عبد الله بن مسعود قال : سئل النبي ﷺ عن الوسوسة قال : تلك محض الايمان .

وبعد هذا في صحيح مسلم قال الرسول ﷺ : لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هذا خلق الله الخالق . فمن خلق الله ، فمن وجد من ذلك شيئاً ، فليقل : آمنت بالله) .

تشير جميع هذه الأحاديث إلى أن هناك وساوس كانت تساور أحياناً بعض الصحابة ولكنها لم تؤثر في عقائدهم ولم تحملهم على الشك ، بل ظلوا على الرغم منها كما كانوا أقوى ما يكونون إيماناً . فمن أين قول المؤلف أن الاسلام احترم الشك ، وهو نوع من الجنون ؟ !

٣ ـ نقد فكرة القضاء والقدر :

قال المجذوب في (ص ٢٠) « وإن الوعاظ ليتلون على مسامع الناس آناء الليل وأطراف النهار نبأ الرسول حين خرج على أصحابه ، وفي يده كتابان .

طوى الذي بيده اليمنى وقال : إن أهل الجنة في كتاب مثل هذا قد علمهم الله فكتب أسماءهم وماسيعملون . . .

ثم طوى الذي بيده اليسرى قائلا : « وإن أهل النار في كتاب مثل هذا ، قد علمهم الله فكتب أسماءهم وما سيعملون . . . » وجفت الأقلام وطويت الصحف . . !

وسأله أصحابه :

إذن فيم العمل يارسول الله . . ؟

فأجابهم : اعملوا فكل ميسر لما خلق له . » ثم علق المؤلف على هذا القول ناقداً ومستغرباً : « إن الحيرة التي اعتصت في وجدانات أصحاب الرسول والتي عبروا عنها بسؤالهم الذاهل المبهوت : فيم العمل إذاً . ؟

هي التي تجعلنا نرثي لأنفسنا حين نقيس السلوك للانسان بهذا المقياس .

إن عبارة « فيم العمل » عقبة ضخمة توضع في طريق التسامي والاعلاء ، وهي نتيجة محتومة للايمان بأن الله قد اختار لكل إنسان نوع سلوكه ، وإذن فلا سبيل لتهذيب هذا السلوك وترقيته » .

تعال أيها القارىء لتضحك من هذا العامي المتعالم ونسمعه يقول :

أما التصور العلمي للأخلاق ، فهو إذ يراها ثمرة ظروف خاصة تتغير بتغيرها ، فإنه يطلق كل قوى النفس وراء الكمال حتى تدركه ، ونضع بين يديها الوسائل اللازمة لبلوغ هذا الكمال . »

ويكرر المؤلف رأيه السخيف في ص ٤٠ فيقول :

ومن جانب آخر كان ثمت تنويم كامل (من جراء عقيدة القضاء والقدر الاسلامية) لأهم مقومات الفضيلة ، ويعني بها الارادة . . ثم يقول :

كانت الأمور تسير هكذا : لماذا يزني « ص » ؟

لأن لعنة الله سبقت عليه فكتبه من الزناة !

– لماذا يسرق ؟ لأن غضب الله سبق عليه فكتبه من اللصوص !

– لماذا يتصف « ز » بالأمانة ؟

– لأن الله كتبه من الأمناء !

إن هذا الرأي الخاطيء القضاء والقدر هو فكرة كثير من المسلمين اليوم ، وهو بعيد عن الاسلام بُعد السماء عن الأرض. وقد كنا نود أن نوافق الكاتب عليه لو نسبه لبعض المسلمين ، وليس للاسلام . أما وأنه ادعى صحة هذا التفسير وإن الدين قد أيده مستشهداً بالحديث الذي أورده . لذا كان من حقنا بل من واجبنا أن نرد عليه كأنه بشر عاقل بآيات من القرآن ، بل بالحديث نفسه وسلوك الصحابة في عهد النبي الكريم عليه السلام ، وبعده . . .

في القرآن الكريم والحديث الشريف آثار كثيرة تؤيد حرية الانسان ومسؤوليته وتحثه على العمل وتجعل قيمته بقدر ما يقدمه من جهود للانسانية كقوله تعالى : وأن ليس للانسان إلا ماسعى » « ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون (١) » « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم والمؤمنون » .

وخلاصة مبحث القضاء والقدر أن الله بسابق علمه وقدرته علم أعمال الناس وان منهم من يعطى الشرع والعقل فيتبع هواه فكتبه من الأشقياء ، ومنهم من يعطى كالأول عقلاً وشرعاً فيتبع الصراط السوي فكتبه من السعداء .

والحديث نفسه الذي يستشهد به المؤلف المغرور على جبرية الانسان في الاسلام مصداق لما نقول فليعد إليه القارىء وليلاحظ عبارة (إن أهل الجنة في كتاب مثل هذا ، قد «علمهم» الله فكتب أسماءهم وما سيعملون . .

أما الآيات التي يدل ظاهرها على عكس ذلك ، فهي تعين مشيئة الله العليا في القضايا الكونية ، فليس للمرء علاقة في هذه القضايا . هذا وان كثيراً من الآيات التي يشتم منها رائحة الجبر ذكرت بعد نضال المؤمنين أو بعد عناد الكفار وإصرارهم فحقت عليهم الغواية وغضب الله تعالى . « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، والله لايهدي القوم الفاسقين » « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق » « فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى . . . »

هذا موجز عقيدة القضاء والقدر ، فليس فيها شيء من الجبر — قل أو كثر — وقد فهمها المسلمون الاولون هذا الفهم الصائب فاندفعوا نحو العمل والاصلاح والجهاد بنطاق واسع . ولو كانت عقيدة القضاء والقدر في الاسلام كما ادعى المؤلف خاطئاً لكان هؤلاء المسلمون أحق الناس بفهمها ولأدت بهم إلى الاضمحلال والهلاك .

فما رأي هذا الأحمق الذي لا أهنىء الأزهر بأمثاله فقد استوى بتفكيره وفهمه مع بائعي الفلافل والمخلل !

ومن دواعي الأسف أن عقيدة القضاء والقدر لم يجهلها أمثال هذا المغرور فقط بل خاض فيها عباس محمود العقاد في كتابه الاسلام في القرن العشرين فوقع بخطأ كبير لجعله هذه القضية التوجيهية قضية بهلوانية فقال في كتابه الاسلام في ص ٣١ .

« . . . وأصدق ما يقال في عقيدة القضاء والقدر إنها قوة للقوي ، وعذر للضعيف ، وحافز لطالب العمل ، وتعلة لمن يهابه ولا يقدر عليه . . »

وقد نسي العقاد تهديد القرآن الكريم للضعفاء فقد قال تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ، قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ! قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً » .

ويسرني بهذه المناسبة أن أسجل فيما يلي كلمة عميقة للأستاذ ميشيل عفلق قد أدرك فيها أهداف القدر بما لم يستطع أن يدركها غيره من كثير من الكتاب المسلمين :

« . . أما صدر الاسلام فانه من ناحية أخرى يمثل اتحاد النفس العربية مع القدر ، بعد ما كانت متجاهلة له ، فتصبح إرادة القدر هي إرادتها بعد عزلة المكان ووحشة الزمان ويصبح العالم كله لا بل الكون ، وكل منظور وغير منظور مسرحاً لنشاطه ولتطبيق هذه القيم الجديدة التي ظهرت في الحياة العربية » .

٤ — ليس هناك شياطين !

قال هذا المصروع في تفكير من يمشي على أربع .

ولقد لعب الايمان بوجود شيطان يسكن قلب الانسان ويوجهه ، دوراً هاماً في حياتنا السلوكية ، ولعل هذا الايمان كان نافعاً يوم كان الانسان يتلقى عن غريزة الخوف أيمانه بكل ما هو غيب غير منظور .

وإذا صح أن يكون هذا التصور للشيطان ولمسكنه – القلب – وسيلة لاكتمالنا في مرحلة متقدمة من تطورنا ، فان هذه المرحلة قد دخلت في ذمة التاريخ منذ أجيال . . .

إن الدجال بعد أنكر في قوله هذا ما جاء في القرآن الكريم من آيات كثيرة وما جاء في الأحاديث من آثار صحيحة عاد فتراجع وقال (٢٥) باسلوب الثعلب المرواغ :

« ونحن لا نكذب رسول الله ، فانما نكذب الفهم المضطرب لأحاديثه . . فالرسول مثلاً يقول : إن لكل إنسان لمتين لمة ملاك ولمة شيطان فهل مفهوم هذا الحديث ان في جوف كل انسان ملكا وشيطاناً يتصارعان . . ؟

ولو كان ثمة وجود مادي للاثنين لوجب أن يَغلب الملاك بمثل الله الذي لا يُغلب ولا يقهر ، أو لوجب إذا كانت النتيجة عكسية ألا يؤخذ الانسان بشر يأتيه أبداً ، فليس هو أقوى جناناً ، ولا أعز سلطاناً من الملاك »

ثم عاد المخمور وقال :

إن في كل انسان قوتين نفسيتين تابعتين من ذاته وكيانه – هما ما عبر عنهما علم النفس الحديث بالارادة والاندفاع – أو ما يعبر عنهما علم الاخلاق بالضمير والغواية ...

ما هذا الاضطراب في كلام المؤلف فبينا هو ينكر قوتى الشيطان والملاك ، يرجع فيقول ان فيه كما قرر علم النفس وعلم الأخلاق ، قوتين نفسيتين الضمير والغواية ...

فما الفرق بين قول الاسلام وبين قول الملحدين المذكورين ؟ !

أليس الفرق في الأسماء فقط . ومتى كان هذا الفرق في الأسماء يوجب مثل هـــذه الحملة الخاطئة والمصطنعة ؟ ترى إذا لم يكن المؤلف من الجهلاء المركبين فأين هم هؤلاء الجهلاء المركبون ؟ ! .

خطب السير أوليفرلودج العالم الانكليزي المشهور نقلاً عن مجلة من المجلات منقولة عن كتاب الارواح المؤلف ما يلي :

« .. إن في الكون كائنات تختلف عنا ، فانه لا يجوز أن كل كائن مدرك يجب أن يكون له جسم مادي مثل أجسامنا . ان اعتقاداً مثل ذلك لا مسوغ له ، ولا قام عليه دليل ، ان كثيراً من المحسوسات لا يستطيع الانسان رؤيته إلا بآلات مكبرة كما أن هناك أجساماً محسوسة لا تزال الآلات عاجزة عن التقاطها فهل ينبغي أن ننكرها ؟ !

إنني أصبحت موقناً أننا نحيط بنا عوالم كثيرة ، وهي من فوقنا ، ومن تحتنا ، وهي تهتم بنا أشد الاهتمام . »

أعود فأقول مرة ثانية انني لا أهنىء الأزهر بهذا المؤلف المضطرب حباً بالشهرة حسب نظرية خالف تعرف . ولو بمخالفة العقل والمنطق !

٥ — التحريم معطل الارادة وصانع الاغراء .

ماذا يفهم من هذا العنوان على إطلاقه ؟ يفهم منه لزوم إبطال التحريم والاستغناء عنه ما دام يعطل الارادة ويصنع الاغراء .

ولكن المغفل لا يقصد هذا حسب زعمه فلنستمع إليه يقول في الصفحة ٨١ :

من أي مصدر يستمد وجداننا المخاوف المقلقة ، والمشاعر الحادة بالخطيئة ... ؟

— من التحريم . ولقد أمضت طبيعتنا الانسانية في أصفاد التحريم زهرة شبابها . ولولا الانطلاقات التي كانت تهتبلها ، والسياحات التي كانت تعزّ اليها ، لبدت اليوم أكثر ضآلة وأدنى نمواً ...

ثم قال في بلادة وغباوة :

. . وان البشرية اليوم لتداخل عصراً لن يكون للتحريم فيه على سلوكها كبير سواء كان هذا السلطان دينياً أم مدنياً ، كتاباً مقدساً ، أم قانوناً موضوعاً ، ذلك ان الانسان الجديد قد اكتشف نفسه ، ووقف على كنه حوافز السلوك وبواعثه واكتشف العلم ان التحريم هو الاب الشرعي للاغراء ..

ثم لنستمع اليه يقول بهذيان وجنون :

بعد أن ندد بالتحريم ومحاذيره قال : « ترى هل نقصد بحديثنا هذا إلغاء القوانين ، أو إباحة ما حرم .. ؟ أم نقصد إلغاء التحريم قاطبة ، وجعل الحياة كلاً مباحاً يرعى فيه من يشاء كيف يشاء ؟

أظن ان الذي يتابع حديثنا في بصيرة ووعي لا يمكن أن تدور برأسه هذه الخواطر الواشية فايماننا بالله ، وبالعلم وبالتطور — وهو أيمان بملأ صفحات الكتاب — هذا الايمان ينأى بنا عن استحسان هذه الطفرة فضلاً عن تحبيذها وترويجها ، فمهما يكن الأوج الذي سيشارفه الانسان سيظل تحريم بعض ألوان حياته ونشاطه سياسة مقررة ... وأي أبله يتصور مجيء يوم يكون قتل الانسان نفسه أو قتله غيره عملاً غير محرم ولا محظور .. ؟

وعلى هذا المثال نستطيع أن نقيس كثيراً من المحظورات الباقية في حياتنا انزوعنها عوادي التحلل وغوائل الفوضى والاضطراب ... »

إن هذا التناقض في كلام المؤلف مثار الدهشة والغرابة ، بل موضع السخرية فانه لا يتصور عاقل أن يكون الكلام الأول والكلام الثاني لمؤلف واحد عاقل !

فهو بينما يقول ان البشرية اليوم لتداخل عصراً لن يكون للتحريم فيه على سلوكها كبير سلطان ، سواء كان هذا السلطان دينياً أم مدنياً ، كتاباً مقدساً أم قانوناً موضوعاً فينكر بذلك ما جاء في القرآن الكريم إذ به بعود بعد ذلك فيدعي الايمان بالله ، ولا يقصد الغاء التحريم قاطبة . فانظر — أيها القارىء — أي سخف وحمق واضطراب في قوله؟ !

ويقول في الصفحة (٨٣) « ... ونعود للأمر الاول فنقول : إن مجتمعنا يخوض في مخاضبة واسعة من المحرمات التي لم ينزل الله بها من سلطان ... »

فما كان أحرى بهذا المغفل لو تنكر لهذه المحرمات التي وضعها الناس بأوهامهم وبدعهم ليخلو من هذا التناقض .

ان التحريم في الاسلام حصن من حصون الفضيلة وعامل من عوامل الخير والرقي لايمكن أن تصل اليه البشرية بمئات بل بألوف السنين بعد الضحايا والخسائر العظيمة ، لنأخذ مثالاً على ذلك الخمر ، فان النظم الوضعية لم تحرمها منذ بداية التاريخ وقد شعرت

امريكا بضررها منذ خمس وعشرين سنة نتيجة التطور الذي يتبجح به المؤلف فحاولت عبثاً منعه وخسرت في سبيل ذلك الضحايا الهائلة في الأموال والأنفس مما اضطرها لالغاء المنع ، بينما نزلت آية واحدة في عهد الرسول فخضع الناس اليها وتركوا الخمر وأراقوها على الأرض فهل ينكر الأجاحد أثر التحريم الديني في إصلاح الأفراد والشعوب ؟!

هذا وان الاسلام إذا جاء بتحريم الخبائث لمصلحة الانسان وحده ولدفع الضرر عنه وكما يكشف دائماً العلم الصحيح ، فقد أباح مقابلها الطيبات ، لذلك فلا داعي للكبت والاغراء والمضايقة ولا وجود لما تخيله هذا الآثم من أن التحريم معطل الارادة وصانع الاغراء ، بل الأمر بالعكس ، فليس ثمة مقوياً للارادة مثل تحديد المطامع والشهوات !

وقد تحدث المغرور البليد في هذا الفصل عن الموسيقى فقال : (٨٣)

« ... فهناك مثلاً من يحدثنا ان الرسول قال : يمسخ أناس من أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير . قيل يا رسول الله أليسوا يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ؟.

قال بلى ، ولكنهم اتخذوا المعازف والقينات فباتوا واصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير » ،

ثم علق الاحمق على ذلك بقوله : « وحين يجد مؤلف الكتاب نفسه في تناقض بيّن حين لا يرى أحداً من الناس يمسخ قرداً أو خنزيراً ... يقول ان المراد بالمسخ مسخ القلوب لا مسخ الوجوه » ثم يقول المشعوذ متهكماً :

« أي ان الموسيقى التي تهذب الوجدان وتصقله وتتسامى بالروح وبالطبع تحيل قلوب عشاقها إلى قلوب القردة وطباعهم إلى طباع الخنازير ... »

أما قول الثرثار ان الموسيقى تهذب الوجدان وتصقله ، وتتسامى بالروح وبالطبع ، فكلام لا يؤخذ على إطلاقه ، فقديماً قيل « اذكر لي موسيقى قوم أقل لك من هم » وذلك بسبب ما للموسيقى من التأثير في النفوس سلباً أو إيجاباً حسب شخصية وسلوك من تصدر عنه وحسب قوتها أو ضعفها .

وقد أجمع المفكرون والمصلحون على أن الموسيقى الماجنه الضعيفة تسيء إلى الفرد والأمة وتؤثر فيها تأثيراً سيئاً بسبب ما تقتله في نفوس الناس من عزة وطموح وتجعلهم أشباه القردة والخنازير الذين ينخفضون إلى الحضيض في نفوسهم وعقولهم ويجعلون ديدنهم الخمرة والخنازير كالحال التي نشاهدها في كثير من مطربي البلدان العربية الذين يقعمون الجماهير اقحاماً في حضيض الشهوة .

إن الغالبية من هؤلاء المطربين لا يتمتعون بثقافة توجيهية ولا بنفوس سامية طموحة فمن أين لهم أن يهذبوا الوجدان ويصقلوه ويتسامو بالخلق والطبع — وفاقد الشيء لا يعطيه كما نعلم !

إن إتقان نيرون للموسيقى لم يهذب نفسه ولم يعلو بطبعه فأمر بإشعال النار في روما وأخذ كنارته (وهي آلة موسيقية قديمة) وصار يعزف عليها وهو يشاهد اللهب يحرق النفوس البريئة ! !

إن ملايين البشر تتضور من الجوع والمرض في مصر ، بل في القاهرة فلم نجد أحداً من كبار الموسيقيين أمثال عبدالوهاب وفريدالأطرش وأم كلثوم الذين أثروا على حساب الشعب الغافل — تقدم لمساعدتهم ، بل تقدم فلاح (لا يتذوق الموسيقى وجاف الطبع يعزف أكثر الموسيقيين) فتبرع بملايين الجنيهات لفتح المستشفيات ... كفاكم سخرية أيها القوم! كفاكم خديعة الجماهير ، إن الموسيقى والموسيقيين على الغالب في بلدان الشرق هم علة تأخرنا وقتل أعصابنا واقحامنا في مهاوي الرذيلة بسبب أنغامهم ومعانيهم الضعيفة المزيلة وبسبب سلوكهم الفاجر الذي يترفع عنه حتى القردة والخنازير ! ! وهـــذه سجلاتهم محفوظة في دوائر الشرطة والأمن .

لقد جرّ هؤلاء الموسيقيون الجماهير معهم فباتوا يقدسونهم كالعصر الذي وصفه الشيطان خالد محمد خالد فقد قال على لسان روفائيل سبتيمي — ص ٢٢ :

« أضحى ذلك العصر عاجزاً عن التمييز بين القديسين في الكنيسة والعاهرات في المدينة ، فسوى بينهما في التبجيل والتعظيم » ... بل لقد بلغ في افتتان الناس بالفوضى الجنسية ان احتفلت روما المسيحية عام ١٥١١ احتفالاً مهيباً حفظه التاريخ وتحدث بجنازة إحدى العاهرات وصمم شعب روما على أن يدفن فقيدته العزيزة في (كنيسة) القديسة (جرجويا) ونقش على قبرها :

« هنا جثة العاهرة الرومانية العظيمة التي نالت ما تستحقه من الشهرة الواسعة لأنها كانت مثالاً للجمال قل أن يوجد له نظير » ! !

ومع هذا كله يرى بعض الفقهاء إباحة الموسيقى القوية ، الموسيقى التي تلهب الجماهير فتدفعهم دفعاً إلى ميادين النضال والشرف والحروب في سبيل المثل العليا والكرامة وإنقاذ الشعوب الضعيفة . .

الموسيقى العالية التي تعمل على الاستجمام لا سيما في المناسبات وفتح المجـــال لاثارة الهمم .

ولكن أين هي ؟ ! أين ؟ !

٦ — غرائزنا تعرف الطريق :

يطنب المؤلف في فوائد الغرائز (٩١) بحجج غاية في الغموض ، فنحن لا ننكر فوائد هذه الغرائز إلا اننا لا ندعي أنها تعرف الطريق كما يقول هذا الأحمق ، إذ لو صح ما يدعيه لبطل حكم العقل ، ولكان وجوده ووجود القانون والدين من النوافل . قال المؤلف (ص ٩٣) فالحق المشاهد أن غرائزنا تسير في طريقها من بصيرة ، وحسبها لكي يوثق بها — انها ماضية دائماً الى الامام — لا تنتكس أبداً ولقد قضت ملايين السنين وهي تعمل وتجرب وتخطيء ، وخلال هذا تنمو قدرتها الفائقة مع الاختيار والخلق والتصميم ، وهي لا تبيد أبداً ولكنها تتطور » .

لقد غفل هذا المسخ ان الغرائز عمياء وثابتة ولا تتطور نسبياً ، وقد ذكر لنا علم النفس ان النحلة البارعة في صنع الخلايا تصبح بلهاء كل البلاهة عندما تحاول الخروج من زجاجة عكس وضعها . وهذه الغرائز كما نعلم هي مجرد دوافع فيمكن أن تتجه نحو الخير والشر حسب توجيه العقل والدين .

إن الغرائز العربية هي نفسها قبل الاسلام وبعده فلماذا كانت في الجاهلية آلة هـدم وتدمير ، وفي الاسلام آلة بناء واصلاح مع قصر الأمل بين العهدين ؟ لماذا لم تتطور منذ آلاف السنين ؟

وكنا نشهد أنها كانت أشد قساوة وضراوة مع مرور الأعوام !!

إننا نعرف انه لا يزال هناك في العالم شعوب متأخرة بدائيـــة إلى درجة العجمية والوحشية فلماذا لم تتطور ؟ !.

كل ما يريد هذا الحبيث أن يصل اليه من دعواه ان بالامكان الاستغناء عن الدين ما دامت غرائزنا تتطور وتترقى وتعرف الطريق .

ولكن إن من الجهل ما قتل ! فان هذا الغبي الاباحي يود من الناس الرجوع إلى مصاف الحيوانات المكتفيه بغرائزها ليعيشوا معها ومعه في بحران من الشهوات !

هذا وان ما جاء في كلام المؤلف السابق في تعريف الغرائز بأنها تعمل وتجرب ، وخلال هذا تنمو قدرتها الفائقة على الاختبار والخلق والتصميم نمواً مطرداً وهي لا تبيد أبداً ولكنها تتطور .

نعم ان هذه الاوصاف التي أعطاها هذا المخادع للغريزة هي أوصاف خاطئة لو إقالها تلميذ لكانت سبب رسوبه فان الغرائز كما هو معروف في علم النفس تنشأ كاملة منذ البداية فالنحل والعنكبوت لا تزال تقوم بعملها منذ آلاف السنين وعملها سابق لكل تجربة وهي لا تدرك غاية عملها ولا الوسائل اليه — علم النفس لشاليه — ج ٢ ص ٥٩٧ .

فأين ما يقوله هذا المغرور في قدرة الغرائز على الاختيار والخلق والتصميم ... أليس هذا السخف أسقط ما يمكن أن نعثر عليه عند أحط كاتب ؟

٧ — مسؤولية المجتمع .

يسهب المؤلف تحت هذا المبحث في خطورة التطور ، وصلة الاخلاق به . فمن قوله (ص ١٠٠) « فالانتحار مثلاً كان فضيلة وكان على رأس فضائل الناس ان تقدم لأضيافك زوجتك أو ابنك . . » « . . . فأين هذه الفضيلة اليوم . . . ؟

لقد تخلفت في الطريق كما تخلفت سواها من الفضائل التي استنفدت أغراضها وسقطت في رحلة الانتخاب الطبيعي لخصال الانسان بعد أن أدت دورها وأنهت مهمتها .

« . . . ولسنا نعني بالتخلف هنا ما تعنيه السياسة الدولية المعاصرة . . ؟ » وإنما نعني به كل إعراض عن التعاون الصادق مع حركة التاريخ . . . ومن هنا تبدأ مسؤولية المجتمع عن سلوك أفراده . . . »

لا أدري كيف يحكم الناقد المجذوب وغيره بحكمة التطور ووجوب الخضوع له ، وهو يعلم ما وصلت اليه الأخلاق الغربية السائرة حسب نظام هذا التطور من تدهور وانحطاط مما أثار صيحة المصلحين فالزنا والاحتيال والغش والسرقة والاغتيال والدعاره والادمان

على الخمور ولحم الخنازير هي من أخلاق القوم المتطور وقد ثبت ضررها علمياً واجتماعياً .

فهل معنى هذا لزوم استمساكنا بهذه الأخلاق السافلة ؟ ولا ندري فيما إذا كان الأحمق الدجال مستمسكاً بها ما دام يؤمن بالتطور ، ولقد علمنا ممن زامله في الأزهر أنه كان إذ ذاك سبكياً بلحية طويلة وعمة ذات عذبة وكان فقيراً معدماً يخطب ويعظ في المساجد بمرتب زهيد ، وكان يبدو بهيئته الفذة وسلوكه متطرفاً في تدينه كراهب (بيجماليون) حتى إذا لوّح له بالمال والشهرة من جانب بعض الفئات الملحدة في مصر ظهر على سريرته وباع قلبه ونفسه وراح يفتري على الدين لأغراض يريدها مؤلاء . وهكذا تطور هذا العالم الكبير!!

إن حركة التاريخ أيها المجنون حركة عمياء قد تسير إلى أمام وقد تسير إلى الوراء ، فهي كتيارات النهر إذا مشى في مجراها الطبيعي أفاءت البلاد والعباد ، وإذا اجتاحت هذا المجرى أفسدت الحرث والنسل .

هذا — ويقول مؤلف آخر زمان : إن الانتحار كان فضيلة — وكذلك تقديم الزوجة والبنت للأضياف(١) .

---

(١) استشهد هذا المؤلف المخمور عن وجود هذه العادة بالآية الكريمة « هؤلاء بناتي هن أطهر لكم ان كنتم فاعلين » (ص ١٠١) وقد كنا من قبل سفهنا رأيه ، ولما كان الموضوع خطيراً لذلك نعود اليه بهذه المناسبة ناقلين بحثاً مستفيضاً في الرد عليه من هذه الناحية عن مجلة الحج (م ٨ ج ١٢ ص ٨٢٤) الأستاذ احمد محمد جمال .

(وفي ص ١٠٠ وص ١٠١ يقول خالد محمد خالد « كان على رأس فضائل الناس أن تقدم لأضيافك زوجتك أو بنتك ، ولعل هذا يفسر قول نبي الله لوط عليه السلام لقومه حين هاجموا داره ليفتكوا بضيوفه فتكا جنسياً : « هؤلاء بناتي هن أطهر لكم » فأين هي الفضيلة اليوم ؟ . »

ونحن لا ننسى انه كانت هناك في فترة من تاريخ الانسان الموغل في القدم ؛ أو من تاريخ طفولة الانسان — تقاليد اجتماعية منها أن يقدم المرء بنته وزوجته لضيفه ! ! ولكننا لا نسميها «فضيلة» كما سماها خالد محمد خالد . . إلا إذا جاز لنا أن نسمي نفس هذا «التقليد» —

وقد نسي المؤلف أن عادة الانتحار لا تزال موجودة في المجتمعات الراقية كاليابان وتقديم الزوجة والبنت لا يزال موجوداً في بعض أقطاب القطب الشمالي .

فأين هذا التطور ؟ !

الاباحي الذي نراه اليوم في صورة مزيفة بزخرف الحضارة الحديثة المفتراة ، عندما يقدم المرء الديوث زوجته أو بنته أو أخته لرجل ما أو رجال ، طمعاً في منصب رفيع أو جاه عريض أو جرياً وراء تبادل الصيد . . زوجة بزوجة ، أو أخت بأخت . . كما هو واقع اليوم في بعض البلدان الغربية التي يموت المؤلف غراماً بحضارتها ومدنيتها وعلومها وأخلاقها ، وفي بعض البلدان الشرقية التي سرت إليها العدوى ، ولحقها التيار ! .

وهكذا نرى ويرى المؤلف معنا ان لم يكابر ! — أن « الانسانية » تعود لطفولتها أو همجيتها الأولى ! وليس هناك من فارق أو اختلاف إلا في إطار الصورة وغلاف الكتاب . . أما الصورة وأما الكتاب فهما كما كانا من قبل ! .

ومع ذلك فلن نسمي فعلة الديوث « فضيلة » كما سماها المؤلف ، سواء رجعنا بتاريخنا إلى جاهلية الانسانية وهمجيتها الأولى ، أم عدنا بتاريخنا إلى القرن العشرين الذي نعيش فيه .

ومن ثم يتبين كم يجني خالد محمد خالد من جراءة وبذاءة — على نبي الله لوط عليه السلام ، حين يفتري عليه أنه قدم بناته لضيوفه كما يفعل الديوث بلا اختلاف ! .

والفارق بين الفعلين بعيد . . فلفعلة الديوث أسبابها وأغراضها التي أوضحناها ، ولفعلة لوط عليه السلام ، أسبابها وأغراضها التي نوضحها فيما يلي :

لقد أبتلي لوط بقوم يأتون الذكران من العالمين ، وهي فاحشة ما سبقهم بها أحد من الأمم الغوابر كما خبر القرآن ، ولقي لوط من عنتهم ما لقي ، وضاق بهم ذرعاً ، وحين أخفق في هدايتهم الى السبل القويمة — بعث الله اليه وفداً من الملائكة لمحادثته في شأنهم ، وتدبير الانتقام منهم ، وإشعاره بكيفيه نجاته وأهله — الا امرأته — مما سينزل بهم من عذاب غليظ . .

ليست القضية قضية تطور بل هي الفوضى وذلك لعدم وجود نظم إلهية كالتي أنعم الله بها علينا وأنقذنا بها من هذه الفوضى منذ عرفت الأرض الأديان السماوية الصحيحة . . .

ومما قاله هذا المؤلف المخلوع تحت عنوان مسؤولية المجتمع « . . إن أصول الأخلاق الاجتماعية ، وفضائل الناس ورذائلهم ، بنات المجتمع وحفيدات الزمن . . . والمجتمع — أي مجتمع — هو الوعاء الذي يحتوينا داخل محيطه ، ونحن فيه كالماء ، نتلون بلون إنائنا . .

أجل ، وكما يبدو الماء أحمر اللون إذا وضع في إناء أحمر ، أو أخضر ، إذا وضع في إناء أخضر . . . نبدو نحن أيضاً ، ولنالون نوع المجتمع الذي يستوعبنا ، بل ان الأمر أبعد من هذا أو أخطر ، فالماء قد يفقد لونه الحقيقي خارج الاناء فقط ، ثم هو يظل ماء بكل

ولكن قوم لوط — وهم في سكرة حيوانيتهم يعمهون — اقتحموا عليه داره : يريدون نيل ضيفه والملائكة الكرام — الذين جاؤوا في صورة فتيان صباح — . . وهي جرأة بالغة مدى القمة إلى اقصاه ، فهم لم يكتفوا بأن عصوه وخالفوه ولم يؤمنوا برسالته ، ولم يسمعوا نصحه بترك الفاحشة — فزادوا بالجرأة عليه والهجوم على ضيفه لفعل ما نهاهم عن فعله ! ! .

وزجرهم لوط . . قال (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) ولا ريب في أنه عليه السلام وهو المصطفى لرسالة الله — أراد منهم أن يتزوجوا بناته ، ليصرفهم عن ضيفه ، وليحولهم من الطريق القذر إلى الطريق الطاهر النظيف . .

أو أراد بذلك « بنات أمته » على المجاز كما ورد عن نبينا عليه السلام : « وازواج أمهاتهم » وغرضه في كلتا الحالتين يعني النكاح ، لا السفاح . . كما يفتري خالد ، استقاء من التوراة المحرفة ، إذ لا يعقل أن يحدث هذا من أي رجل صالح فضلاً عن نبي اصطفاه الله لهداية قومه كما لا يصح أن يعبر عنه بأنه أطهر لهم ، ففعل الدم بالبول ليس من الطهارة في شيء بل الذنب في هذه الحال أكبر ، لأنه أمر بالمنكر وخروج عن الحكم الشرعي » كما يقول صاحب المنار .)

لونه وخصاصه ومذاقه . . . أما نحن داخل المجتمع ، فاننا نفقد الكثير من خصائصنا ما لم يكن المجتمع لائقاً ومشجعاً .

إن مشكلتنا الاخلاقية لم تعد تتمثل في إدراك أن هذا حلال وهذا حرام . . . أوهذا خير ، وذاك شر . . . بل تتمثل على وجه التحديد في إدراك نوع المجتمع الذي يساعد بمفاهيمه ونظمه على فعل الحلال وهجر الحرام . . .

إن هذا المراء الذي يطالعنا به هذا الدجال ليس من عنده وإن تبناه وكذب به على القراء ، انه نظرية خاطئة نظرية جبرية لبعض الفلاسفة أمثال فري وغيره .

إن هذه النظرية فيها شيء من الحقيقة ، فإن للبيئة الاجتماعية بعض التأثير على أفرادها ، ولكن ليس إلى الحد الذي يرفع عن هؤلاء الأفراد أية تبعة ، ويجعلهم كالأنعام في الحظيرة ؟

إن لدى كل إنسان وازعاً شخصياً يجعله مسؤولاً أمام ضميره وأمام الله ، فهو ليس كريشة في مهب الرياح ، إنما هو امرؤ له عقله وإرادته وحريته .

ولا أدري فيما إذا صح زعم المؤلف المسطول لمَ أنشئت المحاكم والسجون في العالم لمعاقبة المجرمين ؟ ! بل لماذا لا يحاكم دعاة هذه النظرية القضاة الذين يعاقبون العصاة ؟ !

وعلى كل حال وحسب رأي المؤلف المجذوب نفسه يمكننا أن نحكم عليه بأنه إنسان مريض مادام يعيش في مصر ، وقد حكم جميع المفكرين على أن المجتمع المصري مجتمع مريض ! ! وليسمح لنا أن نأخذه إلى أحد المستشفيات لمداواته في جسمه أو عقله ، فإن تفكيره على كل حال لا يدل على سلامته من الجنون أو المستريا : هستريا خالف تعرف !

٧ — مشكلة الجنس :

مما قاله المؤلف تحت هذا البحث (ص ١١٩) « . . . ونحن نعلم كم هي حساسة هذه المشكلة ، ولكن لا بد مما ليس منه بد . فلنتقدم في شجاعة وأمانة وتجريد ، وعلينا أن نذكر أن الانسانية من آلاف السنين وهي تكافح الخطيئة الجنسية بالمواعظ والزواجر . فما يزيدها ذلك إلا ضرراً . . . ولطالما أذيع الخوف الديني في وجدانات الناس لينصرفوا عن الرذائل .. ولئن كان هذا الخوف قد حقق بعض الانتصارات إلا أنه في معظم حالاته كان يفضي إلى إحدى السوءتين :

تحدي الدين وخلع الطاعة

تحرج ديني يسوق صاحبه إلى كبت صاعق حتى اكتشف العلم أخيراً الوسيلة التي تبقي على الولاءين — الولاء للدين ، والولاء للفضيلة . . وذلك أنه رأى الأمراض الخلقية صفة جبرية لا يفيد الوعظ في علاجها ، بل هي غالباً ما تكون ثمرة جهوده الموفقة . »

فهمنا من كلام المؤلف الطويل أن الوعظ الديني قد أفلس في محاربة قضايا الجنس الخاطئة — وحق له أن يفلس برأينا أيضاً . وذلك لأن الاسلام لم يدع إلى الاقتصار عليه وعلى الارشاد ، بل دعا في الوقت نفسه إلى مقدمات كثيرة لعدم الوقوع في الخطيئة الجنسية كالتشجيع على الزواج المبكر بحل المسألة الاقتصادية وتسهيل وجود المال لدى الجميع حتى أنه حشد بيت مال المسلمين لهذه الغاية غاية تسهيل الزواج .

كما دعا إلى ترك الخمر ، وهي مفتاح الزنا ، بل مفتاح كل شر ، وقل أن يقدم انسان وهو مالك لعقله ووعيه على اقتراف هذه الجريمة وفيها ما فيها من هلاك النفس وتلف المال والأولاد !

ثم ان الاسلام مع ذلك دعا إلى تيسير المهور ، وكان الرسول عليه السلام القدوة الحسنة في ذلك فقد زوّج بناته بمهور رخيصة جدا .

كما دعا الاسلام أيضاً إلى تجنب النظرات المتعمدة من الجنسين والخلوات المريبة التي لا ينفع معها علاج والتي تثير الاعصاب وتحدث الكبت والجنون .

وفي بعض الحالات النادرة دعا الاسلام إلى الصوم في حالات العسر وعدم تيسير الزواج وهذا الحل الفيزيولوجي يفيد في تهدئة الجسم وتحويل اهتمامه بالجنس إلى آفاق أخرى .

هذه بعض حلول الاسلام في تسهيل مهمة الزواج ، وهي حلول لا يقبلها المؤلف طبعاً على الرغم من أنها استأصلت جرثومة السفاح ، فهو يزعم أن العلم الحديث توصل إلى حل المشكلة الجنسية بعدما عجز الدين عن حلها ! حسب القارىء هذا الكلام في الدلالة على حماقة الرجل وسخفه .

وقد أخذ بالالف والدوران في بيان حلول العلم فاذا هي تدور كلها حول لزوم اتخاذ

الاختلاط شرعة ومنهاجاً ص (١٨١) فإن المجتمع الانفصالي هو سبب جميع هذه الآفات فنحن لانريد أن نخوض معه في ثرثرة كثرثرته وعجن كعجنه فإن الوقت من ذهب وخير الكلام ما قل ودل لذلك نقول له : أيها المغفل الجاهل :

إذا كان الاختلاط مفيداً في التخلص من الجرائم الجنسية ، فلماذا لم يفد هذا العلاج في أوربا وأمريكا ؟ وهم مختلطون إلى درجة الكلاب والقطط تقريباً ! ويقول إن العلم قد توصل إلى حل هذه المشكلة بعدما أفلس الدين فأين هي حلوله وها هي ذي الأمراض الجنسية منتشرة بنطاق واسع في الغرب ومستشفيات المجانين ملأى ، والزناة يرتكبون الفاحشة كالحنازير على قارعة الطرقات أمام أعين رجال الشرطة والناس جميعا

وقد كفانا المؤلف مؤونة البحث عن حوادث وإحصاءات عن حال القوم في أمريكا حيث الاختلاط الذي يطالب به ، وحيث العلم يعمل على قدم وساق .

جاء في كتاب (هذا . . . أو الطوفان ص ١٢٣) « نشرت الكاتبة الأميركية (مرجريت بانتج) مقالاً في مجلة المختار عام ١٩٤٧ قالت فيه : « . . . نحن نعلم أيضاً أنه يسجل في الولايات المتحدة أسماء ٥٠٠٠٠٠ أم لا زوج لها في كل سنة ، وان كثيراً من أمثالهن لا تسجل اسماؤهن لأنهن يجدن من المال والجاه ما يغنيهن على التخلص من تسجيل أسمائهن ، وان كثيراً من عقود الزواج قد تبين فيما بعد انها تمت بعد الحمل (من سفاح) » « وان أساليب ضبط النسل والاجهاض تمنع ظهور الأمومة في كثير من العلاقات غير المشروعة .

ثم قالت :

وتدل الأرقام دلالة لا يتطرق اليها الشك على أن هناك عدداً هائلاً من النساء يلجأ إلى من يزاولون الاجهاض ومن هؤلاء تفيض أرواح عشرة آلاف فتاة وسيدة في كل عام على يد الذين يزاولون هذا الاجهاض .

وهناك إحصاءات كثيرة فيما عن الحال الجنسية السيئة في انكلترا وفرانسا وغيرهما من بلدان اوربا »

ومع كل هذا فقد جهل المؤلف المخبول ان المجتمع حسبما رسمه الاسلام لا يعد مجتمعاً

انفصالياً فقد كان المسلمون والمسلمات يجتمعون المساجد بحجاب شرعي كامل محتشم ليس فيه غطاء للوجه الطبيعي دون زينة ولكنه ليس مبتدلاً يصف تقاطيع الجسم أو يكشف ما تحته ، إنه حجاب العفة والذوق السليم لا الذوق المريض طبعاً .

قال المؤلف ستره الله بالبكم (ص ١٢٥) تحت هذا العنوان

« والمجتمع الانفصالي يعيش في ذعر دائم موصول من الخطيئة الجنسية ، ولكن ذعره هذا لا يحول بينه وبين شر ألوان هذه الخطيئة ، وأعني موبقاتها ـ ألا وهو الكبت .

أجل ، فمحاربة الرذيلة الجنسية بالكبت تساوي تماماً ـ اطفاء النار بقاذفات اللهب »

ثم قال :

والكبت كما نعنيه وكما يعنيه العلم هو إغلاق باب النمو الخلقي أمام المراحل الوافدة من حياتنا وتطورنا ـ ذلك أن للانسان منا في كل مرحلة من مراحل عمره ميولاً خاصة وأخلاقاً خاصة ، فاذا وفق لاشباع كل طور من هذه الأطوار اشباعاً لائقاً متوافقاً فان حياته تظل بمنأى عن العواصف والانحرافات . وأما إذا خضع لمؤثرات ما دينية أم بيئية ، وحرم نفسه من أن تنال حظها من التعبير السديد ، والتوافق الرشيد ، فإن حياته تتعقد ، ويظل هناك طائف ملح ينادي بالثأر للمرحلة التي ضاع حقها والطبيعة التي عطلت مشيئتها . . . »

ثم يقول بعد ذلك في عبارات وقحة مثيرة :

« ماذا يفعل فتى أو فتاة انبثقت فيهما غريزة الجنس ، ودقت الأجراس معلنة عن قدومها ، ومطالبة بحق الضيف من زاد ومأوى . . ؟؟

أندعو الفتى للزواج . . ؟ إن هذا غير ممكن ؟ فغريزة الجنس تظهر في الخامسة عشرة تقريباً . والفتى في هذه السن لا يستطيع أن يعول نفسه ، فضلاً عن أن يعول زوجة وولداً . . . والفتاة أيضاً ليس من الخير أن تتزوج في سن مبكرة كالخامسة عشرة . . .

هل ندعوهما إلى الجوع والصوم . . ؟ إن ذلك هو الكبت بعينه ، ولعل الرسول عليه السلام كان يعبر عن نصح غير ملزم حين قال :

« من لم يستطع الباءة ، فعليه بالصوم فانه له وجاء »

بقي أن يدخل الفتى أو الفتاة ديراً يترهبان تحت سقفه حيث تغمرهما عدوى الزهد والورع من الأتقياء والناسكين . ! لكن ذلك أيضاً لن يغني شيئا ولو كان الفرار إلى الناسكين نافعاً لكان أولى بهذا الانتفاع امرأة نوح وامرأة لوط »

ثم يقول :

« ولعل قائلاً يقول : إذن فأنت تريد لها الفسوق والانحلال .

فأجيب في طمأنينة وثقة : كلا ، ولن أدعو إلى الفسوق ابداً ، ولن أراه إلا دماراً ووبالاً .. وعندما أعرض مقترحاتي في الفصل الأخير — سترون أننا لا نريد سوى الفضيلة المتألقة الواعية الباقية .. »

وخلاصة اقتراح هذا المؤلف الدجال لحل الأزمة هي الاختلاط والرقص : فلسفة ومنهاج . للتنفيس عن الغريزة الجنسية ومعرفة المزاج قبل الزواج ، فهو يود أن نعمل ما عمله ويعمله الغربيون لننجو من المشكلة التي يجسمها ويصورها بأبشع العبارات كرؤية امرأة أسندت ظهرها إلى جدار بسور هذا الفضاء ، وقد تحلق حولها ثلاثة وعشرون رجلاً ، زادوا في خمس دقائق إلى ثلاثين وقفوا جميعاً يتناوبون الخطيئة الجنسية مع تلك المرأة الواحدة لقاء قرشين اثنين . . (ص ١٣٧) .

والغريب أن التجربة التي يود المؤلف العـــامي البليد أن نقوم بها هي نفســـها التي جربها هؤلاء الغربيون فوقعوا في شر أعمالهم وأصبحت الأمراض الجنسية من الشيوع لديهم بصورة نستصغر عندها كل ما في الشرق من هذه الأمراض وغدت أجسامهم من الضعف ونفوسهم من الخور بحيث انهارت دولة كفرنسا تعتبر مهد الاختلاط والفاحشة بأسرع من لمح البصر(١) .

(١) ولم تعد المدنية فيها قاصرة على ما يستحسنه هذا الخور من اختلاط ورقص بل وصلت عند فئة منهم إلى حد الاباحية التامة والعرى الكامل والتخلي عن كل الفضائل التي توصل اليها البشر في رحلتهم الطويلة منذ التاريخ حتى الآن والعود بهم إلى ما عليه أخس أصناف الحيوان من قلة مروءة كالخنازير، وحتى ان علماء النفس من الغربيين الذين فتن المؤلف بحضارة بلادهم لم يسفوا اسفافه ولم يتبذلوا تبذله في وصف علاج الكبت الجنسي —

نعود الى موضوع الكبت الذي تحدث عنه المؤلف وحاول من خلاله أن يستفز الناس للانغماس في شهواتهم وغرائزهم خشية عواقب الكبت .

والمؤلف انما اقتبس موضوعه من مصادر اجنبية حملت على الدين النصراني حملة شديدة ناسياً الفرق بينه وبين الاسلام الذي فتح باب الاستمتاع بطيبات الدنيا بحدود العقل على مصراعيه، ويذكرنا هذا المؤلف بهذه المناسبة بحكاية الحمار حامل الاسفنج الذي حاول أن يقلد حماراً يحمل الملح فنزل في البحر وخف حمله ! وقد اخطأ في تعريف الكبت خطأ علمياً مخجلاً يمكننا أن ندركه من تعريف العالم النفساني فرويد له وقد رأينا أن نرد على هذا المعنوه وامثاله في هذا الموضوع الشائك ببحث اقتبسناه من الاستاذ محمد قطب في كتابه شبهات حول الاسلام (ص ١٥٥) .

انظروا ماذا قال علماء النفس الغربيون عن الدين ؟

قالوا إنه يكبت النشاط الحيوي للإنسان ، ويظل يتكدد عليه حياته نتيجة الشعور بالاثم ، ذلك الشعور الذي يستولي على المتدينين خاصة ، فيخيل لهم أن كل ما يصنعونه له خطايا لا يطهرها إلا الامتناع عن ملذات الحياة . وقد ظلت اوربا غارقة في الظلام طوال تمسكها بالدين ، فلما نبذت قيود الدين السخيفة . تحررت مشاعرها من الداخل ، وانطلقت في عالم العمل والإنتاج .

— رغم اعتقاد بعضهم بأنه مصدر الجرائم والشرور فلم يصفوا لعلاجه الاختلاط المريب ولا الرقص المثير للشهوة ولا غير ذلك مما دعا اليه هذا المأفون وانما دعوا جميعهم المراهقين وغيرهم ممن تستيقظ عندهم الشهوة الجنسية إلى قاعدة التسامي بهذه الغريزة وتحويل دوافعها الخفية إلى حب لبعض العلوم او الفنون المفيدة كالأدب او الموسيقى أو غير ذلك مما يفيد الانسان ويصرفه عن الهوس الذي يريده له هذا الفاسق المخبول ، مع العلم بأن الاختلاط والرقص السائدين في هذه البلاد وسهولة الاتصال بالمرأة في المدرسة والمجتمع والحدائق العامة لم يحل المشكلات الجنسية المختلفة التي يحاول حلها هذا المتعالم المغرور والتي نقرأ عنها الكثير في صحفهم ونرى الأكثر منها في تمثيلياتهم مما لا وجود لبعضها عندنا حتى الآن .

أفتريدون إذن أن تعودوا إلى الدين ؟ تريدون أن تكبلوا المشاعر التي أطلقناها — نحن التقدميين — وتنكدوا على الشباب المتدفق بقولكم : هذا حرام وهذا حلال .

* * *

ونترك اوربا تقول في دينها ما تشاء . ولا يعنينا هنا أن نصدقه أو نكذبه لأننا لا نتحدث عن الدين عامة ، وإنما نتحدث فقط عن الإسلام .

وقبل أن نذكر شيئاً عن كبت الإسلام للنشاط الحيوي أو عدم كبته له ينبغي أولاً أن نعرف ما هو الكبت ، لأن هذه اللفظة كثيراً ما يساء فهمها واستخدامها في كلام المثقفين أنفسهم فضلاً عن العوام والمقلدين .

ليس الكبت هو الامتناع عن إتيان العمل الغريزي كما يخيل للكثيرين . إنما ينشأ الكبت من استقذار الدافع الغريزي في ذاته ، وعدم اعتراف الإنسان بينه وبين نفسه أن هذا الدافع يجوز أن يخطر في باله أو يشغل تفكيره ، والكبت بهذا المعنى مسألة لا شعورية . وقد لا يعالجها إتيان العمل الغريزي . فالذي يأتي هذا العمل وفي شعوره أنه يرتكب قذاره لا تليق به ، شخص يعاني الكبت حتى ولو « ارتكب » هذا العمل عشرين مرة كل يوم ، لأن الصراع سيقوم في داخل نفسه كل مرة بين ما عمله وما كان يجب أن يعمله . وهذا الشد والجذب في الشعور وفي اللاشعور هو الذي ينشيء العقد والاضطرابات النفسية .

ونحن لا نأتي بهذا التفسير لكلمة الكبت من عندنا ، بل هو تفسير فرويد نفسه أنفق حياته العلمية كلها في هذه المباحث ، وفي التنديد بالدين الذي يكبت نشاط البشرية فهو يقول في ص ٨٢ من كتابه (Three Contributions to the Sexual Theory) : ويجب أن نفرق تفريقاً حاسماً بين هذا (الكبت اللاشعوري) وبين عدم الاتيان بالعمل الغريزي فهذا مجرد « تعليق للعمل » .

والآن وقد عرفنا أن الكبت هو استقذار الدافع الغريزي وليس تعليق التنفيذ إلى أجل معين ، نتحدث عن الكبت في الاسلام !

ليس في أديان العالم ونظمه ما هو أصرح من الإسلام في الاعتراف بالدوافع الفطرية ، وتنظيف مكانها في الفكر والشعور . يقول القرآن : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث(١) » . فيجمع في هذه الآية كل شهوات الأرض ويعترف بها على انها أمر واقع ، مزين للناس ، لا اعتراض عليه في ذاته ، ولا إنكار على من يحس بهذه الشهوات .

صحيح أنه لا يبيح للناس أن ينساقوا مع هذه الشهوات إلى المدى الذين يصبحون فيه مستعبدين لها ، لا يملكون أمرهم منها . فالحياة لا تستقيم بهذا الوضع . والبشرية لا تستطيع أن تحقق طبيعتها التي تهدف إلى التطور الدائم نحو الارتفاع ، إذا هي ظلت عاكفة على ملذاتها تستنفد فيها كل طاقتها ، وتتعود فيها على الهبوط والانتكاس نحو الحيوانية .

نعم لا يبيح الاسلام للناس أن يهبطوا لعالم الحيوان . ولكن هناك فرقا هائلا بين هذا وبين الكبت اللاشعوري ، بمعنى استقذار هذه الشهوات في ذاتها ومحاولة الامتناع عن الاحساس بها رغبة في التطهر والارتفاع .

وطريقة الاسلام في معاملة النفس الانسانية هي الاعتراف بالشهوات كلها من حيث المبدأ حرصاً على عدم كبتها في اللاشعور ، ثم إباحة التنفيذ العملي لها في الحدود التي تعطي قسطاً معقولا من المتاع ، وتمنع وقوع الضرر سواء على فرد بعينه أو المجموع كله .

والضرر الذي يحدث للفرد من استغراقه في الشهوات ، هو إفناء طاقته الحيوية قبل موعدها الطبيعي ، واستعباد الشهوات له بحيث تصبح شغله الشاغل وهمه المقعد المقيم ، فتصبح بعد فترة عذاباً دائماً لا يهدأ ، وجوعة دائمة لا تشبع ولا تستقر .

أما الضرر الذي يحدث للمجتمع فهو استنفاد الطاقة الحيوية التي خلقها الله لأهداف شتى في هدف واحد قريب ، وإهمال الأهداف الأخرى الجديرة بالتحقيق . فضلاً على تحطيم كيان الأسرة ، وفك روابط المجتمع ، وتحويله إلى جماعات متفرقة لا يجمعها رابط ولا هدف مشترك . «تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى» مما يسهل على غيرهم تحطيمهم كما حدث لفرنسا .

(١) سورة آل عمران [١٤]

وفي هذه الحدود — التي تمنع الضرر — يبيح الاسلام الاستمتاع بطيبات الحياة ، بل يدعو إليه دعوة صريحة فيقول مستنكراً : « قل : من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق[1] ؟ » ويقول : « ولا تنس نصيبك من الدنيا[2] » ويقول : « كلوا من طيبات ما رزقناكم »[3] « كلوا واشربوا ولا تسرفوا[4] » .

بل يصل في صراحته بالاحساس الجنسي خاصة — وهو مدار الحديث عن الكبت في الأديان — أن يقول الرسول الكريم : « حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء[5] وجعلت قرة عيني في الصلاة »[6] . فيرفع الاحساس الجنسي إلى درجة الطيب أزكى رائحة في الأرض ، والصلاة أزكى ما يتقرب به الانسان لله . ويقول في صراحة كذلك إن الرجل يثاب على العمل الجنسي يأتيه مع زوجه . فاذا قال المسلمون متعجبين : « أرأيت لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر[7] » !

ومن هنا لا ينشأ الكبت إطلاقاً في ظل الاسلام . فاذا احس الشباب بالرغبة الجنسية الدافقة فليس في ذلك منكر . ولا يوجد داع لاستفزاز هذا الاحساس والنفور منه .

وإنما يطلب الاسلام من هذا الشباب ان « يضبط » هذه الشهوات فقط دون أن يكبتها . يضبطها في وعيه وبارادته ، وليس في لاشعوره ، أي يعلق تنفيذها إلى الوقت المناسب . وليس تعليق التنفيذ كبتاً باعتراف فرويد . وليس فيه من إرهاق الأعصاب ما في الكبت ، وليس يؤدي مثله إلى العقد والاضطرابات النفسية .

وليست هذه الدعوة إلى ضبط الشهوات تحكما يقصد به الاسلام حرمان الناس من المتاع . فهذا هو التاريخ في الاسلام وفي غير الاسلام يقرر أنه ما من أمة استطاعت أن تحافظ على كيانها وهي عاجزة عن ضبط شهواتها ، والامتناع بارداتها عن بعض المتاع المباح . كما يقرر من الجانب الآخر أنه ما من أمة ثبتت في الصراع الدولي إلا كان أهلها مدربين

(١) سورة الأعراف [٣٢] (٢) سورة القصص [٧٧]
(٣) سورة الأعراف [١٦٠] (٤) سورة الأعراف [٣١]
(٥) ذكره ابن كثير في التفسير (٦) التمدن الاسلامي : يراجع ما كتبه الأستاذ أحمد مظهر العظمة في شرح هذا الحديث بغير المعنى الجنسي (ج ٣٣ و ٣٤ من المجلد ٢١)
(٧) رواه مسلم .

على احتمالات المشقات ، قادرين على إرجاء ملذاتهم — أو تعليقها — حين تقضي الضرورة ساعات أو أياما أو سنوات .

ومن هنا حكمة الصوم في الاسلام .

والمتحللون اليوم من التقدميين والتقدميات ، يحسبون أنفسهم قد اكتشفوا حقيقة هائلة يقولون : ما هذا السخف الذي يدعو إلى تعذيب الأبدان بالجوع والعطش ، وحرمان النفس مما تتوق إليه من طعام وشراب ومتاع ... في سبيل لاشيء ، وإطاعة لأوامر تحكمية لاحكمة لها ولا غاية .

ولكن .. ما الانسان بلا ضوابط ؟ وكيف يصبح إنساناً وهو لايطيق الامتناع سويعات عما يريد ؟ وكيف يصبر على جهاد الشر في الأرض ، وهذا الجهاد يتطلب منه حرمان نفسه من كثير ؟

وهل كان الشيوعيون — الذين يسخر دعاتهم في الشرق الاسلامي بالصيام وغيره من « الضوابط » التي تدرب النفوس — هل كانوا يستطيعون الصمود كما صمدوا في ستالنغراد لو انهم لم يدربوا على احتمال المشقات العنيفة التي تعذب الأبدان والنفوس ؟ أم انهم « يحاولونه عاما ويحرمونه عاما » ؟ يحاولونه حين يصدر الأمر به من « الدولة » لأنها سلطة مرئية تملك العقاب السريع ، ويحرمونه — هو ذاته — حين يصدر الأمر به من الله خالق الدول والأحياء !

وماذا في الإسلام من العبادات غير الصيام ؟ الصلاة ؟ كم تستغرق من وقت المسلم التقي ؟ هل تستغرق في الأسبوع كله اكثر مما تستغرق زيارة واحدة للسينما في كل اسبوع ؟ وهل يضحي الانسان بهذه الفرصة المتاحة للاتصال بالله ، وتلقي المعونة منه ، والاطمئنان إليه ، واستيراح الراحة في رحابه ، إلا وفي قلبه مرض وفي نفسه انحراف ؟

أما ما يقال من تنكيد الدين على أتباعه ، ومطاردتهم بشبح الخطيئة في يقظتهم ومنامهم ، فما ابعد الاسلام عنه ، وهو الذي يمنح المغفرة قبل أن يذكر العذاب !

ان الخطيئة في الاسلام ليست غولا يطارد الناس . ولا ظلاما دائماً لا ينقشع . خطيئة آدم الكبرى ليست سيفا مصلتا على كل البشر ، ولا تحتاج الى فداء ولا تطهير « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه »[1] . هكذا في بساطة ودون أية إجراءات .

(١) سورة البقرة [٣٣]

وأبناء آدم كأبيهم ليسوا خارجين من رحمة الله حين يخطئون ، فالله يعلم طبيعتهم فلا يكلفهم إلا وسعهم ، ولا يحاسبهم إلا في حدود طاقتهم . « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها »(١) . « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » (٢) .

وآيات الرحمة والمغفرة والتوبة عن العباد كثيرة في القرآن ، ولكننا نختار منها واحدة فقط لعمق دلالتها على رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصبروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » (٣) . يا الله . ما اشد رحمتك بعبادك . إن الانسان لا يملك نفسه من التأثر وهو يرى رحمة الله بالناس . ومتى ؟ وهم يفعلون الفاحشة ! إنه لا يقبل منهم التوبة فحسب . ولا يقيلهم من ذنبهم فحسب . بل يمنحهم رضاه وعطفه ، ويرفعهم إلى درجة المتقين !!

فهل بعد ذلك شك في عفو الله ومغفرته ؟ وأين يطارد العذاب نفوس الناس والله يلقاهم بهذا العطف والترحيب . بكلمة واحدة صادقة يقولونها : التوبة ؟!

لسنا نحتاج الى نصوص أخرى تؤيد مانقول . ولكن مع ذلك نذكر هذا الحديث من احاديث الرسول فهو شاهد عجيب : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، وجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم (٤) »

إنها إذن إرادة ذاتية لله سبحانه أن يغفر الناس ويتجاوز عن سيئاتهم .

وهذه الآية العجيبة : « ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ؟ وكان الله شاكر عليما » (٥) .

نعم ! مايفعل الله بتعذيب الناس ؟ وهو الذي يحب أن يمنحهم الرحمة والغفران ؟!) ا.هـ

---

(١) سورة البقرة [٢٨٦]   (٢) حديث رواه الترمذي .

(٣) سورة آل عمران [١٣٣ — ١٣٤] (٤) رواه مسلم (٥) سورة النساء [١٤٧]

وقبل الانتهاء من مبحث الكبت نرى من واجبنا أن نحدث القارىء أن المؤلف ذكر بعض الأبيات لكبار المتصوفة وصفوا بها أنواع العشق وفنون الخمرة وجمال الغانيات واهتزاز الخصور والتلاقي عشية وراء الخيام والنجاة من العواذل والرقباء ، وزعم أن كل هذه التصريحات الفاحشة هي نتيجة الكبت صدرت من سلاطين العاشقين وسادة العارفين .

فنحن نطمئن المؤلف أن الذين وصفهم بأنهم عز نظيرهم في الطاهرين الأتقياء أغلبهم جماعة من الاباحيين الذين أحبوا خدعة الرأي العام الاسلامي والتستر بالحب الالهي للتعبير عن شهواتهم الدنيئة بما يتنافى مع أبسط مبادىء الاسلام فلقد كان الرسول عليه السلام وصحبه امثال ابو بكر وحسان بن ثابت من اعظم المحبين فلم نعرف من كلامهم ما سمعناه من سلاطين الفسق وسادة اهل الغرام بما يخالف مبادىء التوحيد الالهي الذي يحذر استعمال كلمات العشق والهيام والخمر وغيرذلك من الالفاظ البذيئة بحق الذات الالهية . ولو كان في عصور هؤلاء المتهتكين مسلمون حقيقيون وخلفاء عادلون لعزروهم وقطعوا ألسنتهم ! كما قطعوا لسان المؤلف الذي يخبط خبط عمياء لاعشواء .

إنها الحاقة لو كفى شرها خالد محمد خالد لا مكن أن ينجو من ورطته ، لأن جميع رذائله واخطائه فروع من هذا الداء المستعصي

هذا ، ولما كانت المشكلة الجنسية من المشكلات الخطيرة لذلك رأيت من اللازم بهذه المناسبة أن انقل بحثاً مستفيضاً من كتاب ليس من الاسلام لمافيه من فائدة :

الزواج وروابط الاسرة :

الشقة بعيدة بين أدب الاسلام في علاقه الذكر بالأنثى ، وبين تقاليد الحاضرة الحديثة التي نضحت على الشرق من الغرب . . .

كما أن الشقة بعيدة بين أدب الاسلام نفسه في هذه العلاقة ، وبين ما يطلبه — باسم الاسلام — بعض الجهلة بوظيفة المرأة في المجتمع . . .

إن المرأة المطروحة وراء سجن من الجهل والعمى ، يموت معها نصف الأمة ويمرض النصف الآخر .

والمرأة المتروكة للغي والهوى تضطرب معها الأمة كلها ، ويلعب بزمامها شيطان ..

والأمة الاسلامية الآن نصفان .

نصف لا مكان للمرأة فيه كاليمن والحجاز .

ونصف مكان المرأة فيه غلط ، وموضعها فيه حائر جائر ، كما هي الحال عندنا في مصر . (وفي سورية أيضاً) ولا ندري متى نخلص من هذه النقائص ، ونهدي إلى الحق ؟

* * *

لعل الغريزة الجنسية من انشط الغرائز في دماء الناس ، بل لعل بقاء العمران على ظهر الأرض قد وكل إليها وحدها

وحساب هذه الغريزة ، لا ينسى في ميدان الاقتصاد أو في ميدان التربية .

فان ضوابطها المادية والأدبية سواء في ضرورة الحيطة والعناية .

ولا يتجاهل هذه الغريزة — منذ يقظتها في سن المراهقة — إلا امرؤ أغمض عينيه عن الحقائق ، وأصم أذنيه عن الصراخ . . . !

والفطرة — التي تصدر عنها شرائع الاسلام — هدت هذه الغريزة إلى صراط مستقيم فلا هي قتلتها بالرهبانية ، ولا هي اطغتها بالاباحية . . .

لقد أتاحت لها أن تتنفس ، وأن تؤدي وظيفتها العتيدة لا في استدامة الحياة الانسانية فحسب ، بل في تلطيفها بالحب والتعاون والرحمة .

وحضارة الغرب الحديث تشبه الاسلام في اعترافها بهذه الغريزة .

وتخالف الأديان كلها في ان جعلت التسول الجنسي الواسع علاج نهمها .

ولا شك أن « أوربا » دلّت الحيوان المتنزّى في دماء البشر .

فيسرت الاختلاط المطلق ، وقبلت — في برود — جميع نتائجه ، وتواضت بالسكوت عليها .

وشرائع الله التي بلغها موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام أنزه من أن تقر هذه الحال أو تأذن بها .

فلا عجب إذا توجّس أهل التدين منها ، ولا عجب إذا كان رد الفعل بازائها مزيداً من التزمت والحذر ، والمبالغة في حبس المرأة ، واتهام سلوكها ، وفرض الحصار عليها ..

وهذا ليس الحل الموفق للمشكلة القائمة . .

فالمنهج الذي تلمح معالمه في كتاب الله وسنة رسوله هو الحل (١) الفذّ الرشيد للعلاقة العابرة ، أو الدائمة بين الذكر والأنثى . .

إن الزواج وحده هو الحل الأول والأخير للمشكلة الجنسية . وهو أنبل صلة عرفتها الإنسانية ، لتكوين الأسرة وتربية الأولاد في جوّ زكي طهور .

والمجتمع مسئول عن تشكيل أوضاعه الاقتصادية ، وتقاليده العامة ، بحيث تجعل هذا الزواج أمراً ميسراً مبسطاً لاتخوف منه ولا حرج فيه .

والإسلام دين يجعل العفاف ، والأمن ، في مرتبة واحدة مع توحيد الله .

أليس يجعل إذهاق الأرواح ، وانتهاك الأعراض مساويين للشرك ؟

أليس يسوق خلال المؤمنين الأخيار ، فيقول : « والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ، إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ...»

فكما تحارب الأمم المسلمة الكبيرة الأولى — وهي الشرك بالله — والكبيرة الثانية — وهي قتل النفس — التي صانها الله — يجب أن تحارب الفاحشة الأخرى .

وحربها لا تكون بالكبت الدائم ، أو بفرض الرهبانية سنين عددا ، على من يستحيل عليه قبولها .. كلا كلا .

فهذه علاجات لاتزيد الأمة إلا خبالا ..

وأمتنا تسكت الآن عن الفواحش التي يرتكبها الشباب المسعور ، وتفترض في حياة كل شاب بضع سنين يقضيها في اللهو الحرام قبل أن يظفر بنكاح صحيح .

وهي تقبل وقوع هذه المناكر ، ولاتقبل أن تفرط في حفل فخم تقيمه عند عقد الزواج ..

---

(١) في كتابنا (من هنا نعلم) فصل تناول أطرافاً شتى عن هذا الموضوع .

وفي شعوب إسلامية كثيرة لا حرج من تأخير الزواج وتطويل أمد الفوضى الجنسية التي تسبقه حتى يمكن إعطاء مهر باهظ ..

ودلالة هذا السلوك أن رعاية التقاليد الموروثة والوجاهات المنشودة أحظى لدى الناس من رعاية الدين وابتغاء مرضاة الله !! ..

ثم، وهل تشك في ذلك، بعد أن تعلم أننا نقتل المرأة إذا زنت ونترك الرجل لا يمسه سوء؟!.

إن القتل هنا ليس غضب مؤمن ثار لحق الله، بل غضب إنسان هاج لسمعته الخاصة.

ولو كان الأمر استنكاراً لتلوث امرئ ما بمعصية قذرة لغضبت الأسرة من ابنها الفاجر وأدبته، كما تغضب أشد الغضب لخطيئة فتاتها، ولا تجد خلاصاً منها إلا بالموت.

على أن هذه التقاليد الشرقية، أو الريفية ـ بتعبير أدق ـ أخذت تنكمش وتتلاشى أمام الجاهلية الحديثة الوافدة مع التسوّل الجنسي والتحلل الخُلقي، وسائر ما تَرجُمنا به حضارة الغرب.

والحق أن المسلم الذي يكره الريبة في أمته، يجب أن يبصّرها تبصيراً بتعاليم الدين الحنيف في هذا الشأن.

إنه ـ لكي يشيع الزواج، بدل أن تشيع الفاحشة حتماً ـ لا بد أن تزاح من أمامه العوائق المصطنعة، وأن تتعاون الأمة والدولة على جعل عقده حدثاً محبباً للأطراف التي تتصل به جميعاً، لا حادثة تلاحقها الأزمات والضوائق المقبضة.

لقد رأيت في الحجاز وفي فلسطين، مغالاة شنيعة في المهور، فلا يحصل الرجل على المرأة إلا إذا ساق إليها المئات والألوف.

فماذا نشأ عن ذلك، نشوء المنكر هنا وهناك.

ولا يتحدثن جهول عن جواز المغالاة في المهور شرعاً! فإن ذلك لو كان نافلة مطلوبة ما صح أداؤها.

إذ لا تؤدى النافلة إلا بعد إتمام الفريضة، فإذا ديست الفرائض فأين مكان النافلة؟

وإذا ضاع العفاف، وانتشر الفجور، فهل يتحدث عن جواز المغالاة في المهور إلا غير مأفون.

إن المسلمين جعلوا الزواج الشرعي مُرتقى صعباً، فكان أن هان الانحدار على كثير.

* * *

في زواج موسى عليه الصلاة والسلام ما يستحق التأمل.

إنه ترك مصر محزوناً مطارداً، ينشد الاستقرار والسكينة، فيمم شطر مَدْين يبغي لنفسه موطناً أعز مما فقد.

وتوسل إلى الله علّه يهديه ويعينه «ولما توجه تلقاء مَدْيَن قال: عسى ربي أن يهديني سواء السبيل. ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال: ما خطبكما؟ قالتا: لا نسقي حتى يُصدر الرِّعاء، وأبونا شيخ كبير.. فسقى لهما».

فموسى رقّ فؤاده لمنظر فتاتين تقومان بعمل والدهما، فسارع ـ بقصد شريف ـ ليحمل عنهما هذا العبء، ولم يفُته أن يلحظ ما في مسلكهما من عفاف وحياء وترفع.

فقد رفضتا التحكك بزحام الجمهور على الماء. وجاءتهما النجدة، وهما يرقبان انصراف الرُّعاة ليستقيا ويئوبا!!.

وخلق هاتين المرأتين مَثَل عالٍ لما ينبغي أن تكون عليه النساء الفُضليات في كل عصر.

كما أن خلق موسى أسوة حسنة، للرجولة الرائعة.

لقد أسدى صنيعه «.. ثم تولى إلى الظل فقال: ربِّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير. فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت: إن أبي يدعوك ليَجزيك أجر ما سقيت لنا..».

وذهب موسى مع الفتاة لا ليتقاضى لمعروفه ثمناً، فهو أسمى من ذلك. وإنما ليلتمس الأنيس في أرض الاغتراب والوحشة، وليجد في كنف ربّ هذه الأسرة ملاذاً يلجأ إليه ويقص عليه ما يعاني.

« فلما جاءه وقص عليه القصص قال : لا تخف نجوت من القوم الظالمين » .

ولكي يأمن موسى على حاضره ومستقبله ، اقترح عليه الرجل الصالح أن يزوجه إحدى ابنتيه ، وأن يهيئ له عملاً عنده ! بعد ما أعلنت إحدى الفتاتين عن رأيها فيه « قالت إحداهما : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ، قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتيّ هاتين على أن تأجرني ثماني حجج ، فإن أتممت عشراً فمن عندك . وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين . قال ذلك بيني وبينك » .

ويقيني أن هذه الفتاة التي أعلنت عن رأيها في موسى لو كانت ابنة رجل من أهل الصعيد لبادر إلى قتلها ! ! كيف تصف رجلاً غريباً ؟ .

بل لو كان الرجل من مسلمي اليوم لأبى أشد الإباء أن يرسل ابنته لتستقدم رجلاً لا تعرفه . . .

على أن ما تم هو زواج كريم ربط نفسين كبيرتين ، ومهدت له أخلاق زاكية وتقاليد فاضلة ، وهو ما نفتقده فلا نجده ! !

والمجتمع الذي ننشده يؤسس قبل كل شيء على الضمائر اليقظة ، والفضائل القوية والحراسة المشددة من الرأي العام ، والقوى الحاكمة جميعاً . .

ولعل أفشل ضروب التربية هو ما يعتمد على حبس المرأة ، داخل نطاق من العزلة العقلية والأدبية البحتة ، بل إن عد ذلك من ضروب التربية ، مغالطة . . .

كما أن العجز عن ضبط الصلات الجنسية في الحدود التي شرعها الله ، والتذرع بهذا العجز إلى ترك الشهوة البهيمية تنساح كيف تشاء ، هو سقوط بالفطرة والخلق ، وتمرد على الله وشرائعه كافة . . .

وحبذا لو درس المسلمون كيف انتظمت العلاقات بين الجنسين في الصدر الأول ، وكيف اجتمع أفراد الأسرة كلهم في ساحة المسجد طرفي النهار وزلفاً من الليل .

بل كيف قاتل النساء والرجال معاً لإعلاء كلمة الله .)

٨ — الدين بلا أكاذيب :

قال المؤلف ص (١٥٤) ما رأيت كالدين وسيلة إذا أسيء استعمالها ، دمرت حياة

الناس تدميراً ، ولقد رأينا عبر التاريخ جماعات بشرية جعل الدين من حياتها فردوساً يتلألأ ، وجماعات أخرى جعل الدين نفسه من حياتها جحيماً وأطلالاً . . .

فلماذا وكيف حدث ذلك . . ؟

ثم أجاب الكاتب عن هذا السؤال بسرعة وبداهة جنونية كالأحمق الذي عقله وراء لسانه فقال :

أحسب الأمر لا يحتاج إلى تفسير ، فالدين هذه القوة المقدسة التي لم تذعن البشرية طول حياتها لسلطان كما أذعنت لسلطانه هذا الدين كالماء يتلون بلون إنائه ، فحين يكون وعاؤه بشرية فاهمة متقدمة متطورة تنحاز قوة الدين لجانبها ، ويصير الدين أداتها لتوكيد وعيها ، وتزكية تقدمها ، ودعم خطوات تطورها .

أما إذا كان الوعاء تافهاً ، ومملوءاً بالأدران والصدأ فإن هذا السائل الجميل النضر الذي يحتويه يتحول إلى ماء آسن ، وسائل عفن عكر لا يروي ظمأ ، ولا يرعوع حياة . .

ونحن اليوم نرث مجتمعاً اختلط صدؤه بالدين فعكر بهاءه ، وأمسى الدين فينا بضاعة مزجاة . نصفه حق ، ونصفه باطل وأكاذيب . فماذا نفعل . . ؟ أنعزل الدين عنا ونلقي به خارج الأسوار . . ؟

إن مجرد التفكير في هذا الحماقة مريعة وإن خيراً من الثرثرة الفارغة حول هذه المحاولة البائسة ، أن نهاجم بكل قوانا الإضافات الكاذبة والتفسيرات الضالة التي فرضت نفسها على الدين وعلى الناس . .) ومما قاله بهذا الصدد : (لن تظفر هذه الأمة بأخلاق الأقوياء الشرفاء حتى تعود فتتلقى دينها من وحي الله ، لا من أفواه الشياطين) .

لقد أجاد المؤلف في مطلع كلامه السابق وفي آخره ـ كما يجيد المجنون أحياناً ـ وذلك بوصفه أثر العقيدة السيئة في نفوس متبعيها ولزوم تنقية الدين الإسلامي من البدع والأوهام والأساطير التي علقت فيه فحسبها الناس أنها من الدين فتمسكوا بها وانصرفوا إليها كل الانصراف فكانت سبب انحطاطهم وتأخرهم . هو الحل الوحيد لفهم الإسلام كما أنزل .

أما قوله بتأثر الدين ـ مهما كان صحيحاً بأتباعه وتشبيهه بالماء الذي يتلون بلون الإناء ويفسد بفساده فقول فيه شعوذة وفيه غثاثة .

إن الدين الإسلامي جاء لسعادة الناس وإنقاذهم مما كانوا عليه في الجاهلية . . . فكان منهم المقاصر ومنهم السفاك ومنهم السفاح . . . . فجعل منهم المجاهد والمصلح والكريم

وما عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وأمثالهما إلا شاهد على ما نقول . إن الدين الإسلامي يؤثر ولا يتأثر لأنه تشريع إلهي سماوي ولو كان بهذا التقلب والذبذبة لكان لا فائدة من نزوله ، أما ما نشاهد لدى المسلمين اليوم من فساد في سلوكهم وتأخر في عقليتهم فإنه يرجع إلى بعدهم عن الدين بُعد السماء عن الأرض !

والغريب أن المؤلف يتظاهر بالدفاع عن الدين وضرورته للإنسانية ثم هو يعلن ضرر التحريم وإنه معطل للإرادة وصانع الإغراء .

والتحريم ـ كما لا يخفى لدى من عنده ذرة عقل وعلم ـ من أسس الدين ، ولا يمكن أن يقوم تشريع سماوي إلا إذا كان يدعو إلى محللات ويحذر من محرمات .

المبادئ والشعارات :

وأغرب ما قرأناه للمؤلف في كتابه (هذا . . . أو الطوفان) أن قسم أوامر الدين الإسلامي إلى قسمين : شعارات ومبادئ ، وقد قال في هذا المعنى ص (١٥٦) :

(. . . إن في النصوص الدينية شعارات ، وفيها قواعد . أما القاعدة فيتساوى فيها منطوق النص ومفهومه . بيد أن الشعار كثيراً ما يكون بين منطوقه ومفهومه تفاوت بعيد وبعيد جداً . . . والشعار يعتمد على المبالغة أما القاعدة فلا) .

وقد ضرب المعتوه مثالاً لذلك بقوله :

فإذا قال القرآن مثلاً ـ « لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » فهذه قاعدة يتعاون فيها المنطوق والمفهوم على تشريع حكم سيظل خالداً على الأيام .

وإذا قال : (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها . » فهذا شعار . والقرآن قطعاً لا يعني المعنى الحرفي لمنطوق الآية الكريمة ، وإلا عجزنا عن التوفيق بين هذا المعنى الحرفي ، وبين مئات الملايين من البشر ماتت جوعاً أثناء المرحلة الطويلة لتاريخ الانسان) .

وقد لجأ المؤلف إلى هذا التقسيم : مبادئ وشعارات من عنده حينما لم يستطع أن يؤلف بين النصوص التي ظنها متعارضة وقد ذكر أمثلة كثيرة لتأييد رأيه غير المثال السابق : نثبت منها على سبيل الاختصار ما يلي :

« والرسول عليه السلام حين يقول : (من حلف بغير الله فقد أشرك) لا يريد مفهوم هذه الكلمات بدليل أنه هو نفسه قد حلف بغير الله حين قال عن الرجل الذي جاء يسأله عن الجنة ويعده بأن يؤدي فرائض الدين وحدها دون أن يزيد : أفلح وأبيه إن صدق .

لقد أراد الرسول بالحديث الأول (من حلف بغير الله فقد أشرك) أن يكون شعاراً يذكي نار العداوة بين الإيمان والشرك . حتى ولو كان مظهر هذا الشرك ممثلاً في الحلف بغير الله . . . ولم يرد أبداً أن يكون هذا الحديث قاعدة باقية ، وتشريعاً يؤاخذ الناس به ويحاسبون على مخالفته . لذلك رأيناه يحلف بغير الله حين علم من نفسه أن هذا العمل لن يكون له أدنى تأثير على إيمانه ويقينه .

ومن الشعارات كذلك قول الرسول عليه السلام :

(الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها . . . حب الدنيا رأس كل خطيئة . . . لا تعدل الدنيا عند الله جناح بعوضة) .

ومثل قول الرسول ﷺ : (تخلقوا بأخلاق الله) وقوله : (كل بني آدم خطاء) .

ومن الغريب المضحك ، بل المفرق في الضحك أن المؤلف خالد محمد خالد قد لجأ إلى اختراع تقسيم أوامر الدين إلى مبادئ وشعارات ، حينما لم يستطع أن يوفق بين تعاليم الإسلام ، أو بصورة أوضح لم يقدر على فهم هذه التعاليم . ولم يكن عنده من العلم والفهم ما يستطيع أن يميز بين الصحيح والضعيف من الآثار النبوية مما سنشرحه فيما يلي ، ومنه ندرك قيمة هذا الذي نعت نفسه أنه من علماء الأزهر وأنه في الواقع لا يستحق إلا الصفع :

أما اعتقاده أن آية : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » تتعارض مع آية : « لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » ، مما دفعه إلى جعلها من الشعارات بداعي أن مئات الملايين من البشر ماتت جوعاً ، ـ فنقول مردود وسخيف ، فقد ثبت أن الذين يموتون جوعاً لا يعود موتهم إلى فقدان الرزق ، إنما إلى الكسل والجهل ، وإلى الظلم الاجتماعي الصارخ كما هي الحال في كثير من بلدان الشرق كالصين وباكستان ومصر .

وأغرب ما في خلط المؤلف أن الآية الثانية : « لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » التي قال عنها إنها قاعدة يتعاون فيها المنطق والمفهوم على تشريع حكيم سيظل خالداً على الأيام ، مع أن

الآية نفسها منتهية بمعنى الآية السابقة التي اعتبرها من الشعارات ، فقد جاء في ختامها : « نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيراً » .

ثم تعرض المؤلف ـ كما رأينا ـ إلى حديث : (من حلف بغير الله فقد أشرك) وحديث : (أفلح وأبيه إن صدق) وظنهما متعارضين ، ودفعه فهمه وذكاؤه إلى اعتبار الأول شعاراً !

ولكننا لو سألنا مبتدئاً بالعلم ، ومن صغار طلاب المدارس الشرعية ، لعرف سبب اختلاف الحديثين بقوله إن الحديث الثاني قاله الرسول قبل تحريم الحلف بغيره تعالى ، كما أن القاعدة الأصولية تقول: كل نهي سبقته الاباحة . أو أن هذا الحديث من خصوصياته عليه السلام لكونه لا يتأثر بهذه الوثنيات التي يتأثر بها غيره .

وتعرّض المؤلف كذلك إلى حديث : (الدنيا ملعونة ، وملعون مافيها . . .) وقال إنه من الشعارات !

إن هذا الحديث يشير إلى فلسفة عميقة مؤداها أن الدنيا بمالها وزخرفها ليست غاية لذاتها إنما هي وسيلة إلى حياة أفضل ، ومن اتخذها غاية كان لعنة وخطراً على نفسه وعلى المجتمع . وما حان الغرب عنا ببعيد ، فإنه أهلك نفسه والعالم وسيهلكها إلى الأبد ، مادام اتخذ الدنيا وحدها غاية ، فهو ينفي الوصول إليها بأي ثمن حتى جعلها جحيماً لا يطاق ، وغدا الإنسان ذئباً للإنسان . . .

إن طلب الدنيا مع الآخرة ، أي طلب الحياة الشريفة ، الحياة المنتجة بالمال الحلال في سبيل الفرد وفي سبيل الصالح العام ، هو غاية مشروعة يدعو إليها الإسلام بحرارة قال تعالى : « فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب . »

وتتمة الحديث الذي نقل نصفه مؤلف آخر زمان لدليل على ما نقول : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ذكر الله وماوالاه وعالماً ومتعلماً) .

أما قوله : إن حديث : (تخلقوا بأخلاق الله) شعار ، فقول يدل دلالة صريحة على جهل المؤلف المركب، فإن الحديث السابق حديث لايعرف له أصل في كتب السنة كما قلنا .

فخالد محمد خالد شخصية مركبة . ولله در الشاعر إذ قال :

قال الحمار حكيم توما ... لو أنصف الدهر كنت أركب

لأنني جاهل بسيط ... وصاحبي جاهل مركب

ترى لو ربطنا قرداً على باب الأزهر بعد السنين التي قضاها المؤلف في هذه الجماعة ، فهلا كان يقع في هذا الجهل المركب الذي جعله يظن الخلافات في النصوص مما دفعه إلى اختراع حيلة قواعد وشعارات ! !

ليته كلّف نفسه قراءة شيء من علم الأصول[1] والاطلاع على صحة الأحاديث ، ولكنه لا يقدر على ذلك بعد ما أخذ به الغرور كلّ مأخذ وأعلن عن نفسه بوقاحة ودون خجل أنه من العلماء ! ولو أنصف نفسه لقال إنه من حثالة أهل العلم الذين ابتلوا بالركاكة والغثاثة .

الأخلاق الدينية :

من جملة إسفاف خالد محمد خالد في كتابه (هذا . . . أو الطوفان) حملته العمياء على

(١) ومما يدل على جهل المؤلف الواضح قوله ص٥٩ : « . . . هذا رجل يأتي رسول الله ﷺ مرتجفاً يقول : يا رسول الله لقد استوجبت حداً ، فيربت على كتفه ، ويسأله : هل شهدت معنا الصلاة . . ؟ فيجيب : نعم ، فيقول الرسول : لا بأس عليك إذن . إن الحسنات يذهبن السيئات . . »

فإن صح ما نقله ، فإن كلمة حد هنا ظن منها الرجل أن عمله يوجب حداً مع أنه لم يأت بما يوجب الحد ، إنما هو الإثم الذي يمحى بالتوبة والعفو . والحديث رأيناه في الترغيب والترهيب عن أبي هريرة قال : إن رجلاً أصاب من امرأة قبلة ، وفي رواية جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى المدينة وإني أصبت منها ما دون أن أمسها ، فأنا هذا فاقض فيّ ما شئت . . . فتلا عليه هذه الآية : « إن الحسنات يذهبن السيئات »

الأخلاق الدينية ، وتفريقه بين الدين وهذه الأخلاق تفريقاً هو أقرب إلى الجنون أو الهستريا منه إلى أي شيء آخر .

قال في (ص ٣١) :

(. . . وإنا لنلبس الحق بالباطل حين نخال التدين السبيل الأوحد إلى الأخلاق . . .

وأود من القارئ أن يذكر جيداً أنني أتحدث عن التدين لا عن الدين ، والتدين هو سلوكنا الديني ـ أي طريقة تنفيذنا للتعاليم . . .) إلى آخر هذا الهراء المخرف والكلام السخيف .

وقد زاد في شرح هذه الفكرة الخاطئة في كتابه المضلل (لكي لا تحرثوا في البحر) ص ١٨٨ : « إن الأخلاق الدينية تستمد غذاءها من مصادر ثلاثة :

ـ أولها ـ الدين الصحيح ، أي التعاليم الصادقة التي نادى بها الرسول ، ولم تنلها يد التحريف والتزييف .

ـ ثانيها ـ التعاليم المدخولة المدسوسة على الدين وليست منه . وكنا نعرف أن هناك عشرات الآلاف من الأحاديث المكذوبة الموضوعة نسبت إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام زوراً وبهتاناً .

ـ ثالثها ـ التقاليد التي اختلطت بالحركة الدينية خلال تطورها وفتوحاتها . . .

فأما المصدر الأول ، فهو وحده الجدير باحترامنا ، وموقفنا منه ينبغي أن ينطوي على ما يستحقه من اصغاء وتوقير .)

إلى هنا يتكلم المؤلف وهو بعقله ، فإن المسلمين مدعوون ـ من جديد ـ للرجوع إلى النبع الصافي الأول إلى الكتاب والسنة ، فإن هذه الأمة الإسلامية لا يصلح آخرها ـ كما قال الإمام مالك ـ إلا بما صلح به أولها . وقد اختلطت الأوهام والبدع والخرافات اليوم بمبادئ الإسلام الصحيحة اختلاطاً أساء إلى سمعة الدين ونفّر الكثيرين منه الذين ظنوا جهلاً أن هذه البدع من الإسلام ، وهي بعيدة عنه بعد السماء عن الأرض .

(١) إن هذه المبالغة دليل جديد على جهل المؤلف ، فقد سألنا بعض علماء الحديث فأجابوا بأن الأحاديث الموضوعة لا تبلغ عشر هذه الضعيفة تقريباً .

ومما يؤسف له أن العلماء ـ علماء الدين ـ قد وقفوا من هذه الأساطير موقف المتفرج يخافون العامة من التصريح بها ، وهكذا غدا الغوغاء اليوم يحكمون ـ على الغالب ـ علماء السوء ! !

ثم يخرج المؤلف عن عقله بعد هذه المقدمة فيأخذ بالدس والتدجيل فيقول :

(كيف . . ؟ وما السبيل . . ؟

قلنا من قبل ، إن مايريده الدين بإصرار وحسم وهو مزاملة الخير ومقاطعة الشر . . وقلنا إن في الدين جانباً لا يتغير ، وكل تبديل فيه يعتبر تسريحاً للدين وإنهاء له . . . وذلك هو جانب العقيدة ، وما يلتحم بها من فرائض العبادات .

(وفي الدين جانب آخر يخضع للتعديل والتطور (كذا) هو جانب الفقه الذي ينظم للناس معيشتهم وسلوكهم .

(ولقد حدث كما ذكرنا من قبل ، أن الله ذاته غير في القسم الثاني وبدّل ، وهو العليم الخبير الذي يعلم ماكان وما سيكون ، والذي ليس بحاجة أن يضع علمه موضع التجربة والاختبار .)

ثم يقول هذا الخبيث في فم شيطان :

(أليس ذلك آذان منه ـ سبحانه ـ إلى الناس كي يحسنوا تكييف الشريعة وفق ظروفهم ومصالحهم واستعدادهم ؟ ؟

ويجيب بعد ذلك عن سؤاله ـ كما يجيب المجنون نفسه ـ :

(أجل ، الأمر كذلك حقاً ، ولقد رأينا من كبار علماء الإسلام وأكثرهم ورعاً وتقوى من يقول : إذا تعارض النص من قرآن وسنة ، مع المصلحة ، قدمت المصلحة على النص ، لأن النصوص إنما جاءت لرعاية المصالح لا لتعطيلها . . .)

ثم يستشهد هذا الدجال على قوله بالإنجيل ! فقال :

(هذا هو المسيح يسأله رجل وهو يلقي موعظته :

ـ يا سيد ، قل لأخي يقاسمني الميراث .

فيجيبه يسوع :

ـ يا إنسان ، من أقامني عليكما قاضياً ، وقاسماً ؟

ولا يكتفي هذا المغرور بهذا الاستشهاد الذي يكلفنا به كأننا مؤمنون بصحته إذ به يحاول أن يأتينا بدليل من الإسلام فيقول :

(وهذا هو رسول الله محمد يقول لأمته « إذا حدثتكم عن الله ، فإني لا أكذب على ربي ، وإذا حدثتكم بشيء من شؤون الدنيا ، فأنتم أعلم بشؤون دنياكم .)

يحكى عن الذئب أنه إذا وثب على إنسان وأراد افتراسه أخذ يشب عليه بسرعة فائقة من خلفه وأمامه ومن فوقه ويمينه وشماله ليوهمه أنه ليس ذئباً واحداً ، بل ذئاباً كثيرة ! وإذا كان الإنسان ذكياً عرف حيلته وعلم أنه وحده فينهال عليه ضرباً بالعصا والحذاء حتى يقضي عليه . وهكذا المؤلف فإنه يحاول أن يتشبه بالذئب ، ولو كان دونه عقلاً ، فجعل يحبك النقد تلو النقد والحجة تلو الحجة ليثبت للعلماء من حوله عدم الحاجة إلى الدين أو إمكان التصرف به وترك نصوصه لأوهى الأسباب! وقد ذكرنا عمله بالمشعوذين والحواة.

نعود فنناقش هذا الدجال كأنه من العقلاء ، لا من أجله ، بل أجل بعض قرائه الذين ربما يخدعون بكلامه المعسول وإن كان مسموماً !

أما قوله قبحه الله إن في الدين جانباً آخر يخضع للتعديل والتطور . . . فهذا صحيح ومن أجل تطوره وتعديله جاءت النصوص بشأنه عامة أحياناً لتكون صالحة لكل زمان ومكان ، كقوله عليه السلام : (لا ضرر ولا ضرار) فإنه يستنبط منه مئات الفروع والمسائل المتطورة .

أما أن نفهم معنى التطور بترك القواعد التشريعية المنزلة حسب ما نراه من مصلحتنا ، وغالباً ما تسير هذه المصلحة مع الهوى والغايات الذابة ، فقول مخذول ومنطق أعوج لا يقول به من فيه ذرة عقل !

وقد أدهشت الشريعة الإسلامية مؤتمر لاهاي المنعقد عام ١٩٣٦ فقرر أعضاؤه أن الإسلام دين (متطور) تقدمي صالح لكل زمان ومكان .

وأما قول المؤلف إن الله – تعالى – غير . . . وهو آذان منه إلينا للتغير والتبديل . . .

فكلامه كله هراء يحتاج قائله إلى من يسعفه بطبيب من مستشفى المجانين ! فإن نسخه تعالى لبعض الأحكام إنما كان من قبيل تدريب المسلمين على قبول تشريعه بصورة تدريجية ما دام لكل جديد دهشة . كما كانت الحال في تحريم الخمر ، وهذا التدرج في التشريع مما

يعد من مفاخر هذا الدين الذي يتمشى مع الفطرة واليسر في كل شيء ، ومما حاز إعجاب أعظم المفكرين الأجانب .

فهل يود منه مؤلف آخر زمان أن ننسخ ونبدل من أحام الإسلام في غير العقائد والعبادات كما نسخ الله تعالى ؟ !

وإذا كان الأمر كذلك فما الفائدة من إنزال الشريعة الإسلامية ؟

حقاً إن الجنون فنون !

وأما استشهاده بقول بعض العلماء بجواز ترك نص القرآن أو السنة إذا تعارضت مع المصلحة . . .

فقول مردود عليه وعلى العلماء الأغرار الذين زعمهم ، لأن النص الإلهي لا يمكن بحال من الأحوال أن يتعارض مع المصلحة إلا إذا كانت هذه المصلحة ذاتية شهوانية تتعارض مع المصلحة العامة . . . وشهادات كبار رجال الفقه من الأجانب تلقم المؤلف حجراً بل أحجاراً .

أما استشهاده بقول المسيح فكلام مردود عليه وعلى قائله ، لأنه إذا صح كان معناه عدم لزوم مجيء المسيح ، وإنما أنزل الله رسله ليحكموا بين الناس بالقسط . قال تعالى :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . »

وأما استشهاد هذا الرقيع بحديث تأبير النخل ، فقد كان اقتراح الرسول بعدم تلقيحه من قبيل الظن فقط .

عن طلحة قال : مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل فقلت ما يصنع هؤلاء ؟ فقالوا يلقحونه يجعلون الذكر مع الأنثى فتلقح . فقال رسول الله ﷺ : (ما أظن أنه يغني ذلك شيئاً .)

« قال فأخذوا بذلك فتركوه ، فأخبر رسول بذلك فقال (وذلك قبل فساد نخيلهم) إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه ، فإني ظننت ظناً ، فلا تؤاخذوني بالظن . ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا منه فإني لن أكذب على الله عز وجل) . – رواه مسلم –

فهل حاول المؤلف المخلوع أن يفهم ولو مرة واحدة النصوص الإسلامية ؟ ؟

رأينا فيما سبق مبلغ دس المؤلف وزندقته ، فهو بعدما ذكر المصادر الثلاثة للأخلاق الدينية وأوضح بطلان المصدرين الثاني والثالث دعا إلى لزوم التمسك بالمصدر الأول قائلاً :

(فأما المصدر الأول فهو وحده الجدير باحترامنا ، وموقفنا منه ينبغي أن ينطوي على ما يستحقه من إصغاء واحترام .)

ثم يعود بعد ذلك بحيلة البهلوان بعد ما دعا إلى لزوم الإصغاء لهذا المصدر ، فيدعو إلى جواز ترك هذا المصدر – مستشهداً بالعلماء الأغرار – إذا تعارض مع المصلحة .

وهكذا نراه بجرة قلم تخلّص من الدين كما تخلص من العقل !

إن الأخلاق الدينية التي حمل عليها المؤلف زوراً وبهتاناً تتعارض مع شهواته ، كانت ولا تزال مصدر عظمة المسلمين ورقيهم . فإن الإيمان الصحيح يجلو النفس الإنسانية ويحرق شرورها ويجنبها الآثام بلمح البصر .

وقد رأينا المجتمع الإسلامي الزاهر ، كيف كان مثالاً أعلى للمدنية الفاضلة ، وذلك لأنه يدعو إلى إصلاح النفس من الداخل والخارج خلافاً للأنظمة البشرية ، وقد كانت هذه الأخلاق مثار إعجاب العظماء والقواد في الفتوحات الإسلامية مما كان له أعظم الأثر في دخول الناس في دين الله أفواجاً .

ونرى بهذه المناسبة أن ننقل رأي أستاذ نصراني قوميّ معروف ، في هذه الأخلاق الاسلامية هو ميشيل عفلق ، فلعل فيه وفي أقوال كثيرة على شاكلته عبرة لخالد محمد خالد خريج الأزهر ! !

(. . . ثم يظهر الإسلام ليحدث انقلاباً في حياة العرب وفي أنفسهم . فالقيم لم تكن تستمد من المجموع ، كما أن الفرد ليس هو الذي يفرضها . إنها تصدر من مكان هو فوق المجموع والفرد معاً ، وفي هذا ضمان لحرية الفرد وانسجام مع المجموع في آن واحد . . .

والحاضر الذي كان النقطة الوحيدة التي يتمسك بها الجاهلي وينقذ بها نفسه من النسيان والعدم ، أصبحت في نظر العربي الجديد المسلم هي النقطة المظلمة ، وكل ماعداها مضيء ، لأنها هي مكان التجربة والامتحان ، والهوة الصحيحة التي لا تجتاز إلا على جسر من الجهاد والتقوى .

لقد تبدل القلق الداخلي كما تبدلت عزلة المكان ووحشة الزمان بعزلة في الفكر

ووحشة في النفس والضمير . فلم يعد الرجل يطمئن بسهولة إلى قيمة أعماله ويقتنع بموافقة المجموع أو القبيلة ، بل لم يعد يقتنع بتلك القيم التقليدية ، بل لم يعد يقنعه شيء غير رضى ذلك الضمير الصعب ، الممعن في التشدد . .)

* * *

هذا – وقد وصف هذا الصعلوك الأخلاق الدينية بخصائص ، ثم أوضح هذه الخصائص بتفسيرات وتأويلات في غاية الوقاحة والحماقة والجهل . فكان مما قاله في كتابه « لا تحزنوا في البحر » (ص ١٩٠) ومابعدها بتلخيص :

خصائص الأخلاق الدينية :

الأخلاق الدينية أمر مطلق : تعتمد على التحريم والتجريم ، وهي تتصف بإرهابية الباعث ورجعية الوسيلة ، وبالتعصب والانطواء ، كما تتصف بالجبرية والوعظية .

وقد تحدث شيطان الأزهر تحت كل خاصة من هذه الخواص بكلمات لا يتفوه بها إلا معتوه ، ولما كان نقل هذه التعليقات كلها من المتعذر ، لذلك سنختار للقارئ ماذكره صعلوك العلم والأدب في شرح إرهابية الباعث ، فهو بعد أن ذكر آيات من القرآن الكريم وعبارات من الانجيل في وصف النار وترهيب العصاة يعود فيقول (ص ١٩٨) :

(. . . فآيات التخويف فيها ذات مفهوم مجازي ودلالة وقتية . . . وإذا سألني سائل : أتريد أن تحذف آيات العذاب من القرآن . . ؟

(أجيبه (بكل جنون وحمق ووقاحة) عفا الله عنك . مالهذا قصدنا ، وإنما نقول إن دلالة هذه الآيات مجازية تصويرية . نريد أن نحمل الناس الذين يخافون ولا يخجلون ، على طاعة الله وترك السوء . . .

(وإنا لنعلم أن في القرآن آيات نسخ حكمها ، ونفد غرضها . . . ومع هذا فهي باقية لمجرد التلاوة دون أن يكون لها حكم نافذ ، أي حكم . . .

ثم يقول بعد ذلك قولاً لا يستحق عليه إلا الصفع على ناصيته الكاذبة الخاطئة :

(فآيات العذاب باقية للتلاوة ، وللتاريخ . تصور لنا حال مرحلة من تطورنا الإنساني كان الخوف فيها هو المعراج الذي يصعد بالناس إلى الكمال . . .)

* * *

إن وسيلة الترغيب والترهيب هي من وسائل الدين التهذيبية كما هي من وسائل النظم الوضعية ، تستند إلى سيكولوجية النفس الإنسانية التي لا نجاح لإصلاح إذا لم يعتمد عليها، فهي تجعل المرء على الدوام بين الخوف والرجاء : الخوف من الجزاء والرجاء بالثواب مما يدفعه إلى التمسك بفضائل الأعمال واجتناب الشرور والآثام وقبول التضحيات الاجتماعية المختلفة .

وقد كانت هذه الوسيلة - ولا تزال - الوسيلة الوحيدة للإصلاح واستتاب الأمن والسلام على الأرض ، ولا يتصور العقل الناضج ، العقل الواعي غيرها .

إن الفئة الصالحة ، الفئة المهذبة التي يزدان بها العالم إلى يومنا هذا هي نتيجة هذا الأسلوب الديني الذي لا يتصور وجود أخلاق فاضلة بدونه .

إن وجود أخلاق دون مؤيد ضرب من الخيال ومحاولة حمقاء مادامت طبيعة النفس البشرية هي هي ، وإن استبدال وسيلة الترغيب والترهيب بوسيلة غيرها للإصلاح بحجة تبدل الزمن قول كله هراء وسخف كقول الاستبدال بطريقة الأكل والشرب عن طريق جهاز الهضم - غيرها من الطرق .

والغريب أن المؤلف الخرف الدجال يستغرب اللجوء إلى إصلاح النفس عن طريق تخويفها بالنار في العصور الحديثة ، بينما لا يستغرب لجوء هذه العصور إلى أساليب الإعدام والشنق والأشغال الشاقة المؤبدة في أعماق السجون المظلمة وفي الحديد والأصفاد ! بصورة لا تفتح المجال للتائبين ، بعكس الدين الذي يجعل باب المغفرة والتوبة مفتوحاً على مصراعيه لتشجيع المرء على سلوك الصراط المستقيم .

ويسرني أن أسوق بهذه المناسبة كلمة للفيلسوف باسكال تلقم السفيه الأحمق حجراً وتستقل فيه الصفع والركل . قال هذا الفيلسوف : (لقد كان لفكرة التعذيب في الأديان السماوية أعظم الأثر في ازدهار الأخلاق والفضائل على وجه الأرض . وإن العقل لا يمكن أن يتصور ما كانت تصل إليه الإنسانية من الفساد لولا هذا الرادع العظيم) .

وإنني لا أدري لماذا يستبعد الدجال خالد محمد خالد الويلات التي تلحق بأمثاله من الزنادقة يوم القيامة بعدما أعطاه الله عقلاً كعقل البشر وأتاح له من الفرص لتلقي الاسلام من الجامعة الأزهرية ثم هو في سبيل الظهور وحطام الدنيا يتنكر لهذا الدين العظيم الذي أدهشت مبادئه مفكري العالم وفلاسفته .

ثم يقول المؤلف ص ٢٠٠ تتمة لبحثه عن الأخلاق الدينية

(. . . هذا رسول الله عليه السلام ، يبصر أماً تضم طفلها إلى صدرها ، فيسأل أصحابه الذين معه قائلا : — أترون هذه الأم طارحة ولدها في النار ؟ ؟

فإذا أجابوه ، كلا يا رسول الله . .

قال لهم : « والذي نفسي بيده . إن الله لأرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها . »

ثم يعلق على هذا الحديث بقوله الأخرق :

« أي أنه لن يطرح إنساناً واحداً في النار (كذبت ياجاهل) أي اطمأنوا ليس أمامكم نار ، ولا غسلين ، ولا مقامع من حديد . . »

غريب أمر هذا الرجل المغرور ، فبينما الحديث يطمئن المؤمن ، إذ به يطمئن كل إنسان. ولو كان قاطع طريق وسفاك دماء ! كل ذلك لاستدراج الناس للتهالك على الشهوات . . .

وقد قال تعالى في وصف المؤمنين وكثرة تبعاتهم : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله (أي في سبيل الخير العام) أولئك هم الصادقون . »

ثم يقول في الصفحة نفسها :

« هناك أبلغ من هذا دلالة على ما نقول : فذات يوم أسر إلى معاذ حديثاً ، فقال معاذ ووجهه يتهلل بشراً :

— ألا أبشر الناس يا رسول الله ؟ ؟

— فأجابه عليه السلام : لا يا معاذ حتى لا يتكلوا .

وتأملوا كلمة « لا يتكلوا » تدركوا كل شيء . . .

أما هذا الذي أسره الرسول لمعاذ ، فهو « يا معاذ بن جبل ، من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » .

ثم يعلق هذا الصعلوك على ذلك شأنه في جميع تعليقاته : (ألا إن جميع الناس ليموتون غير مشركين بالله شيئاً ، وإن بدا لنا ، وإن بدا لهم أنفسهم أنهم مشركون) .

مع أن الآية الكريمة تقول : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون . » وقال عليه الصلاة والسلام (الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل .)

فان من الشرك الحلف بغير الله، والاستغاثة بالأنبياء والأولياء، والنذر لهم، والتصديق بتكهنات المنجمين وتعليق التمائم والقيام بالعبادات لارضاء الخلق إلى غير ذلك من الأعمال التي تضعف العقل وتقتل الشخصية وتجعل الانسان نهباً مقسما للأهواء المختلفة مما هو مخل بالكرامة والسمو والرفعه التي يحبها الله تعالى لعباده .

كل ذلك من مظاهر الشرك المنتشر الآن بكثرة على مشهد من علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم بمسايرتهم للغوغاء والعامة .

كل ذلك ينكر وجوده مجنون القاهرة وينكر بحسب ظاهر كلامه الشرك بين البشر قاطبة ، بينما الوثنية تملأ الدنيا ، وقد تسربت إلى الديانتين اليهودية والنصرانية بشكل واضح !

أكتفي الآن بهذا القدر من نقد بعض كتب خالد محمد خالد الذي حاول مؤلفها الطعن في الإسلام ، فطعن نفسه ـ إذا كان يشعر ـ بالصميم ، شأن كل من تسول له نفسه مس هذا الدين الإلهي العظيم من قريب أو بعيد ، آملين أن نكون في هذا الرد قد استطعنا غسل وجه هذا المدعي للعلم ، وعرضه على الناس بشكله المزري ، إذ أننا لو حاولنا نقد كل ما جاء في كتبه التي وقعت بين أيدينا من سخافات وأضاليل لاحتجنا إلى صفحات كثيرة ، ولكننا نضن بوقتنا وبوقت القارىء من الضياع ، مرددين قول الشاعر بعد ماملنا من أغاليطه وخلطه:

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً ‏ ‏ ‏ ‏ لأصبح الصخر مثقال بدينار

آملين أن يرعوي هذا الرجل عن غيه ، وإلا كان حسابنا له عسيراً .

إن عادت العقرب عدنا لها ‏ ‏ ‏ ‏ وكانت النعل لها حاضره

وفي الخاتمة إنا لنتيقن أن بعض أعداء الاسلام أراد أن يكيد لهذا الدين العظيم ويحاول أن يصرف عنه أتباعه ما دام قوة وخطراً على الاستعمار ، فاشترى هذا السفيه المخلوع

ـ خالد محمد خالد ـ مغتنما نسبته للأزهر، فأخذ يوجه حملته الخاطئة على الاسلام بوقاحة وسخف وموت ضمير ، دون أن يحترم نفسه أو يحترم الحق .

وقد أوضحنا ضحالة وسخافة وكذب آرائه بما فيه الكفاية ، وأثبتنا لكل منصف أنه لا قيمة لهذا الأحمق إلا عند أحمق مثله !

ومن الطرافة والنزاهة أن خالد محمد خالد ـ هذا الناقد المخنث ـ غدا موضع سخرية واستهزاء الشباب المثقف ، الشباب الواعي الذي ازداد تمسكا بالاسلام بعد ما ظهر له من نقد الناقد الرخيص أشد وضوحاً وأقوى بياناً ، وغدا مثل خصوم الاسلام ـ ومن جملتهم خالد محمد خالد ـ مع هذا الدين كما قال الشاعر :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها ‏ ‏ ‏ ‏ فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فالمسألة — كما قال الأستاذ والكاتب الاسلامي الكبير محمد الغزالي : لا تعدو أن أحمق غرته الأماني ، فجاء يناوش القلاع الشم ، فأصابته قذيفة أودت به ودمرت عليه مكمنه ، وبقيت القمم كما هي ترد الطرف ، وعاد المغرورون إلى أوكارهم الهشة ، فاذا بها مسواة بالرغام . . .

وفي الخاتمة اني أستميح القارىء عذراً إذ لم أكتف بالتزام حسن العرض والنقد العلمي ، بل تملكتني ثورات الغضب والعنف أحياناً ، فخرجت عن طوري تجاه أشباه الرجال وأذناب العملاء الذين حاولوا الدس على الاسلام والنيل منه بأساليب خفية والتربص به متأثرين بمساعدات أجنبية استخدمتهم للاساءة إلى هذا الدين العظيم الذي هو بحق خطر داهم على الاستعمار والاذلال، يحث الشعوب على الاستماتة في المطالبة بحقوقها. وعذري في ذلك أن صاحب كتاب (هذا . . . أو الطوفان) قد تملكه الغرور وركبه الطيش واستحوذت عليه الحماقة وتمادى في غيه حتى استحق هذا العبث والتهكم عملا بقول القائل :

العبد يقرع بالعصا ‏ ‏ ‏ ‏ والحر تكفيه الاشارة

انتهى

محمود مهدي

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢	١٢	بل	بله
٣	١	ألفنا	أسلفنا
٣	١٠	مافي	ما إلا في
٨	١٧	وغلاة	غلاة
١٠	١٩	بالنقد إلى	بنقد
١٦	١٣	عملكم والمؤمنون	عملكم ورسوله والمؤمنون
١٩	٢٢	الاستغنا	الاستغناء
١٩	١٧	تعز	تفر
٢٦	١٦	بخأت	بأخت
٢٧	١١	والملائكة	الملائكة
٢٧	١١	صياح	صباح
٣١	١	المساجد	في المساجد
٣٩	٨	أبو بكر	أبي بكر
٤٥	١١	لا يرو	لا يروي
٤٥	٢٢	وتأخرهم . هو	وتأخرهم . والرجوع إلى الكتاب والسنة
٤٧	١٣	ومثل	ومثله
٤٨	١٨	مشروعة	مشروعة
٥٠	٢٤	الضعيفة	النسبة
٥٢	١٨	الذابة	الذاتية
٥٣	٣	أحام	أحكام
٥٦	٢	لاءصلاح	لاءصلاحها

آثار المؤلف

المطبوعة

- مجلة المعلمين والمعلمات في خمسة مجلدات
- أطفالنا ضحايانا (انتقاء) ....
- الاشتراكية الاسلامية .. ..
- نقد تقارير ساطع الحصري .. ...
- عبقرية الاسلام في التربية ... ...
- عظمة الاسلام ... .
- أنا مؤمن بالله . لماذا ؟ ... .
- مذكرات تلميذ ....
- التربية الجنسية على المكشوف . ...
- لفتة الكبد في تربية الولد (تعليق) ..
- مشكلة الامتحانات المدرسية وكيفية حلها
- مشكلات الغرب وكيف يحلها الاسلام باللغتين العربية والانكليزية .. ...
- جريمة مدارسنا ! ... ...
- رسالة بالانكليزية عن الاسلام . ...
- كيف نربي أطفالنا ....
- قصة عمر بن الخطاب ....
- قصة عمر بن عبد العزيز ... ...
- قصة نبي يُعشق ....
- قصة صلاح الدين الأيوبي ... ..
- غزوة بدر ... ...
- قصص عن النبي ﷺ للأطفال ...
- قصة عمر بن الخطاب للأطفال ....

المعدة للطبع

- مدارس رياض الأطفال وطريقة اعدادها وتنظيمها ... ...
- آيات قرآنية مختارة مع بعض الشروح باللغتين العربية والانكليزية .. ...
- مقالات انتقادية في التربية والتعليم ...
- مذكرات المؤلف ... ...
- على هامش التربية الاسلامية .. ...
- تفسير جزء عم تفسيراً سهلاً مبسطاً ...
- مع المبشرين ... ...
- في سبيل أسرة أفضل ....
- طريقة إصلاح عيوب الأطفال ....
- دفاع عن الأسلام ... ...
- مذكرات حاج ... ...
- المنهج الاسلامي الجديد للتربية والتعليم (تعليق على مقال لأبي أعلى المودودي)